روايات رومانسية عالمية

عبير

فيوليت وينسبير

# هديّتي

www.elromancia.com

مرمورية

مكتبة جرير

روايات رومانسية عالمية

# عبير

## هديتي

بريق
المظهر غالباً ما يغشي
العيون ويبقى على تلك الحاسة
السادسة والخفية ان تميز آنذاك بين الخطأ
والصواب، بين الحب والرغبة العابرة . البعض يملكها
غريزياً وتنتقده في المواقف العصيبة حين تكون العاطفة
رهاناً على وجود بأكمله. والمغنية المشهورة ديلا نيف اقتنصت
فرصة وجودها على ظهر سفينة سياحية لتستعرض حياتها على
مهل ...دون ان تتوقع مغامرة اشبه بالعاصفة محورها الكونت
الايطالي الوسيم نيكولاس فرانكويلا الذي تتهافت عليه
النساء كفراشات ليلية متدافعة حول نار. ولكن هناك
ماضيها كله يشدها الى الوراء متمثلاً في مارش غراهام
الذي رعاها وهي طفلة وله عليها حق الوفاء
...اخلصت له دائماً، ولكنها تدرك اهمية
ان تخلص لنفسها هذه المرة !

مكتبة زهران
جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٢٧٨٦٤١٨
رقم الإيداع: ٢٠٠٦/٢٣٥٩٨

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
**FORBIDDEN RAPTURE**

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة



١ ـ الآنسة ديلا نيف تدرك حتى وهي في عرض البحر انها ستدفع ثمن نجاحها غالياً في يوم من الأيام. لأن راعيها انسان متملك لا يعرف معنى الخسارة. . .

صعدت الى سطح السفينة بخطوات وئيدة فتاة طويلة القامة، جميلة، ترتدي معطفاً من الفراء الثمين، تزين ياقته زهرات يانعة فواحة. حين اعطت البحار المسؤول اسمها، ورقم غرفتها، اتسعت ابتسامته، ورحب بالقادمة قائلاً:

- اهلاً وسهلاً بك على ظهر سفينتنا يا آنسة ديلا نيف. سمعتك تصدحين بالغناء في احدى المسرحيات المعروفة، ويشرفنا وجود مغنية اوبرا مشهورة مثلك بين مسافرينا. كما ارجو ان يملأ صوتك الملائكي ساعات ليلة من لياليا حبوراً وسروراً.



تطلعت اليه بعينين اختلطت فيهما زرقة السماء بخضرة الأرض وقالت:

- اشكرك على هذا الاطراء، لكنني هنا في رحلة راحة واستجمام، وسأضطر آسفة الى رفض تلبية طلبك.

قادها الى غرفتها عبر ممر طويل مفروش بالسجاد الأزرق، وفتح امامها باب جناح فخم، ستشغله طوال فترة وجودها على ظهر سفينة «النجمة» المخصصة للرحلات في البحر الأبيض المتوسط.

بقيت وحدها في جناحها بعد خروج الموظف المسؤول، فخلعت معطفها، واتجهت نحو كوة صغيرة في طرف السفينة لتستمتع بمرأى البحر، وصوت الموسيقى التي تناهت الى اسماعها من بعيد. ازاحت النغمات الستار عن ذكريات حفل رائع احيته في فيينا، اصطحبها بعده مارش منقذها، وولي نعمتها، الى مكان هادىء عرض فيه عليها الزواج. لم تستطع رفض الفكرة، لأنها لم تنس انه الغني الذي انقذها وهي طفلة، من بين حطام السيارة التي اودى حادثها بحياة والديها، وهو الذي رعى خطواتها بعد ذلك على طريق النجاح، حتى وصلت الى القمة التي تتربع اليوم على عرشها.

تحسست خاتم الخطوبة، وتركت الذكريات تتلاحق، معيدة اياها الى اليوم الذي اكتشف فيه مارش موهبتها في الغناء، فقام بتوظيف افضل الأساتذة لتعليمها اصوله. كانت

تدرك وهي تنتقل بين رياض النجاح آنذاك انها ستدفع الثمن غالياً في يوم من الأيام، لأن راعيها انسان عنيد، متملك، ولا يعرف معنى الخسارة في كل ما يفعل.

ذكّرها به كل ما في الغرفة... الزهور البيضاء المتناثرة هنا وهناك، علبة الحلوى، وحتى مجموعة الروايات الخفيفة الموجودة امامها. قررت تناسي كل شيء، والتمتع بحريتها طوال فترة الرحلة، فخلعت خاتمها ورمته في صندوق مجوهراتها الثمينة، قبل ان تغلق باب غرفتها عائدة الى السطح. كانت السفينة قد بدأت رحلتها، فتأملت ديلا المودعين، وسافرت بنظراتها عبر الميناء وهي تفكر بمارش الذي لم يؤخره عن الحضور لوداعها الا اضطراره للسفر في رحلة عمل. عندما اختفت آثار اليابسة، بقيت الفتاة وحدها مع البحر وأمواجه، والسماء وطيورها. حسدت الطيور على حريتها، وتمنت الخلاص من قيودها لأنها كانت تحلم برجل يحبها، وليس برجل يحاول تملكها تحت ضغط العرفان بالجميل.

حاولت الهرب من افكارها، فوقع نظرها على شاب، طويل القامة، اسمر، رياضي الجسم، في خده ندبة على شكل قطعة ماس، وقف قريباً منها. ازعجها وجوده الذي اخترق اسوار وحدتها، وحاولت ان تشيح بوجهها عنه، لكن عينيه السوداوين اسرتا عينيها دقائق، تسارعت فيها ضربات قلبها،



واحتقن وجهها بدماء الخجل، فأسرعت بالابتعاد مرتبكة.

- آنستي... آنستي... تمهلي من فضلك.

التفتت مستغربة، فأردف قائلاً:

- هاك ازهارك...

تلمست ياقة معطفها قبل ان تقول:

- لم اشعر بسقوطها، اشكرك.

- هل انت وحيدة مثلي في هذه الرحلة؟

لم تجد ديلا جواباً لسؤاله، فقال:

- دعيني اعرفك بنفسي يا آنسة... انا نيكولاس فرانكويلا... ما رأيك بتناول بعض المرطبات قبل العشاء؟

رفضت دعوته بلطف:

- لا... شكراً. مشاغلي كثيرة... استودعك الله.

- لا تقولي وداعاً يا آنستي، فنحن ركاب سفينة واحدة، وسنلتقي كثيراً ان شاء الله.

- اشك في ذلك، لأن السفينة كبيرة وتغص بالركاب الذين ستسرك صحبتهم.

- ان للأقدار الكلمة الأخيرة دائماً، يا آنسة ديلا نيف.

- هل عرفت من انا منذ البداية؟

- وهل يخفى القمر؟! لكنك تختلفين كثيراً على خشبة المسرح. انت هناك اروع مثال للبرودة، والثقة بالنفس.



www.elromancia.com

- وأنت اوضح مثال للوقاحة. عن اذنك.

عادت الى غرفتها، وحاولت تهدئة اعصابها الثائرة لوقاحة بعض الناس، وتطاولهم وتماديهم.

حاولت الهاء نفسها عما حدث بينها وبين نيكولاس فرانكويلا بترتيب ثيابها. بعدها فتحت صندوق مجوهراتها المخملي الصغير، الحاوي على كل ما خف حمله وغلا ثمنه من حلي، اهداها اياها مارش في اكثر من مناسبة. تأملت المجوهرات، وندّت عنها آهة اثقلتها الهموم، وهي تعود الى ذكرى مارش الذي عركته السنون، وتركت خيوطها الفضية في شعره، وبصماتها الواضحة على قسمات وجهه.

قاومت المها بابتسامة فيها تصميم على التمتع بحريتها طوال فترة الرحلة. داهمها الجوع، فاغلقت الصندوق، وطلبت وجبة خفيفة مع بعض القهوة. فلبى المضيف طلبها قائلاً:

- طلباتك اوامر يا آنسة... تحب زوجتي سماع اغانيك، وتفضلها على كل ما نسمعه اليوم من ضجيج موسيقي، يصر اصحابه على ادراجه في قائمة الأغنيات... ترى ما الذي تفضلينه لوجبتك الخفيفة؟

- آتني من فضلك بلفائف لحم البقر، مع قدح من القهوة الساخنة... هل يمكنني التعرف على اسمك؟

- اسمي لاركن يا آنسة، ويسرني ان اكون دائماً في



خدمتك... هل تنوين تسجيل بعض الأغاني العاطفية قريباً؟

- انني هنا للراحة يا لاركن، فأرجو الا تتعبني بأحاديث العمل، وبالكلام عن مشاريعي المستقبلية. اتمنى ان تكون الرحلة مسلية وناجحة.

- ستكون كذلك باذن الله يا آنسة، وآمل ان تقضي معنا امتع الأوقات وأحلاها.

اراحها الاستحمام بالماء الساخن، وخرجت لتجد الوجبة الخفيفة بانتظارها، فجلست تتناولها وتتصفح مجلة كانت امامها.

استوقفتها صورة عرفتها جيداً، تصدرت احدى الصفحات مع التعليق التالي:

«ظهرت سورين هنتر الثرية المعروفة، التي سبق لها الزواج مرتين، بصحبة الكونت الايطالي نيكولاس فرنكويلا، المعروف بمغامراته في عالم النساء الجميلات، الثريات. ترى هل يخبىء المستقبل لسورين زواجاً ثالثاً؟».

اثبت التعليق لديلا ان نيكولاس فرانكويلا الذي تعرفت عليه قبل قليل، هو زير نساء، ولا يستحق الا الازدراء والتجاهل.

بقيت تفكر بما اكتشفته، الى ان غلبها النعاس، فغفت في مقعد وثير طويل ساعة من الزمن، استيقظت بعدها نشطة



www.elromancia.com

سعيدة. توجهت الى المطعم بعد ان اسدلت خصلات شعرها الذهبي لتعانق وجهها بحنان، وانتقت فستاناً حريرياً هادىء اللون زاد من فتنتها.

وقفت بالباب لحظات تتأمل القاعة وروادها، الى ان جاء النادل يسألها عن اسمها ، ولما عرفه قادها الى مائدة خصصت لأربعة اشخاص، وجدت منهم عروسين، رحبا بمقدمها، فجلست قبالتهما وطلبت عشاءها، قبل ان تترك لعينيها حرية التجوال في انحاء القاعة. لاحظت ان عيون الرجال تلاحقها، وعيون النساء تتأمل اناقتها. لكنها لم تشعر بأن احداً عرفها، حتى عزفت الفرقة الموسيقية احدى اغانيها المعروفة ترحيباً بها. كانت المعزوفة تقترب من نهايتها، عندما دخل الكونت نيكولاس فرانكويلا، وقاده النادل باتجاه مائدتها. اربكها ليل عينيه، وتذكرت لقاءهما المشحون، فحاولت الهرب من سخرية نظراته وتقطعت انفاسها وهي تسمع خطواته تقترب منها اكثر وأكثر. لكن فجأة، وبدون سابق انذار، غيّر وجهته نحو مائدة القبطان. رحب به الرجل، وأجلسه بالقرب من امرأة جميلة حيته بنظرات ساحرة. اما المقعد المقابل لديلا، فقد شغله بعد ثوان من دخول الكونت، رجل عرّفها بنفسه قائلاً:

- مساء الخير... انا جو هارتلي ، صاحب محل كبير للبقالة.



وعلمت ديلا بعد ذلك ان جو هارتلي ارمل، قام بالرحلة سعياً وراء النسيان.

غزا الكونت الوسيم افكار ديلا طوال فترة العشاء، وخجلت من ارتباكها تحت ضغط نظراته.

عذبتها الأفكار، وبقي جو هارتلي يثرثر، بينما كان العروسان غارقين في لج الهمسات.

اغتنمت اول فرصة للخروج، وصعدت الى سطح السفينة للاستمتاع بالليل ونجومه، والسماء وأمواج البحر.

كانت تتهادى على السطح حين سمعت وقع خطوات قادمة باتجاهها. وعندما تناهى الى اسماعها صوت ضحكة نسائية رنانة، فضلت، الاحتماء بالظلال.

ساعدتها الأضواء الخافتة على معرفة الكونت فرانكويلا، والمرأة الجميلة التي جلست بقربه اثناء العشاء.

سمعت ديلا المرأة تقول:

- يا لك من خبيث ايها الكونت العزيز... اعرف انك على وشك اعلان زواجك من الوريثة الكبيرة سورين هنتر، فلِمَ الإنكار؟

- ومن يجرؤ على انكار اشياء تقولينها يا سيدتي؟

وقفت ديلا في الظلال تنصت الى نبضات قلبها تتلاحق قوية. وعندما ترك الاثنان مكانهما، خرجت من مخبأها واتجهت



www.elromancia.com

نحو قاعة للسينما على السفينة، وجلست وحدها في الظلام، تفكر بالكونت نيكولاس فرانكويلا الخبيث... زير النساء.



٢ - عذبتها السخرية والقسوة في تقاطيع وجهه ففكرت بالفرار منه. تأكد لها ان نيكولاس ماكر كبير، فصممت ان تلقنه درساً...



www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

زحفت اشعة الشمس الفضية عبر نافذة الغرفة مبشرة بمولد يوم جديد، وداعبت بدفئها اجفان ديلا التي كانت مستسلمة للنوم. فتحت الفتاة عينيها ببطء، وتأملت ما حولها، تاركة الأشعة الناعمة تغمرها. وحين تذكرت مكان وجودها، جلست في سريرها وابتسامة امل بيوم سعيد تزين محياها.

تركت سريرها، ووقفت قرب نافذة الغرفة الضيقة دقائق، تطرب اذنيها بهمسات الأمواج وتمتع ناظريها بمرأى البحر، رمز الحرية والانطلاق. لم تكن هذه هي رحلتها الأولى على ظهر سفينة، لكنها كانت فرحة بخلاصها من اثقال العمل، وحرص



مارش الشديد عليها...

اعادت النظر الى سريرها، فتذكرت ليلة ماضية قضت ساعاتها فريسة للأرق والسهاد والقلق، فعزت ذلك الى انها ليلتها الأولى بعيدة عن بيتها ومحيطها الذي اعتادته.

كانت السفينة تشق طريقها عبر الأمواج الى جزيرة زاتر، وكانت ديلا لا تزال تشعر بتأنيب الضمير لخلعها خاتم الخطوبة، لأنها تعتبر مارش حاميها وملجأها في الملمات. لكن هل يكفي هذا اساساً لزواج ناجح؟

عندما لم تجد جواباً لسؤالها، قررت الاستحمام علّ الماء الساخن ينقيها من ادران افكارها الغريبة.

اختارت للصباح طقماً ازرق من قطعتين، ومشطت شعرها الذهبي قبل ان تضع القليل من احمر الشفاه، وتخرج لتستقبل يومها الثاني على ظهر السفينة بكل نشاط.

كانت الساعة قد قاربت الثامنة والنصف. مشت ديلا ببطء على ظهر السفينة، تتأمل المسافرين القلائل الذين فكروا بالاستمتاع بساعات الصباح الأولى، وراحت ترد على تحياتهم بابتسامتها الساحرة. سحرتها زرقة البحر، وانتشت بسماع صوت امواجه تلطم جانب السفينة بدون كلل او ملل. تلاعب النسيم العليل بشعرها، واحست بالرذاذ يرصع وجنتيها، قبل ان تفاجئها قرصات الجوع.



elromancia.com

توجهت الى المطعم، فلم تجد احداً من اصدقاء المساء متحلقاً حول المائدة، فجلست في مكانها وحدها تستمع الى معزوفة ايطالية حلوة تناسبت مع دفء النهار وروعة الأجواء.

طلبت وجبة الفطور، واسترخت في مكانها مرتاحة لكل ما يحيط بها. دخل الكونت الايطالي نيكولاس فرانكويلا المطعم، بعد دخولها بلحظات، وهو يترنم بأنغام جميلة طربت لها ديلا، فتطلعت نحو الباب لتجد ذلك الأسمر الوسيم يتقدم نحوها بثبات وثقة، مرتدياً سروالاً ابيض، وقميصاً حريرياً داكناً. حياها بقوله:

- اسعدت صباحاً يا آنستي... هل اعجبك الفيلم السينمائي الذي شاهدته الليلة الماضية؟

تلاقت عيونهما قبل ان تسأله ديلا:

- وكيف عرفت انني كنت في قاعة السينما الليلة الماضية؟ اقصد...

قاطعها:

- اعرف تماماً ما تقصدين... اتمانعين بأن اشاركك طعام الفطور؟

وجلس قبالتها دون ان ينتظر جوابها قائلاً:

- شكراً لك.

حبست ديلا انفاسها وهي تتأمل تقاطيع وجهه. عينان



ساحرتان، انف فيه شموخ وكبرياء، فم يدل على ان صاحبه لا يسعى الا وراء مباهج الحياة وافراحها.

اسرتها جاذبيته المفرطة... عذبتها السخرية والقسوة التي كست تقاطيع وجهه، ففكرت بالفرار من امامه. لكنه طرد الأفكار بسؤاله:

- ايهما تفضلين اكثر، السينما ام الرقص؟

- استمتعت كثيراً بمشاهدة الفيلم ليلة امس... واعود فأسألك كيف عرفت انني شاهدت فيلماً البارحة؟ اذكر انشغالك بمحادثة السيدة الجميلة التي كانت برفقتك.

- لمحتك وانت تسرعين الى قاعة السينما. مم كنت تحاولين الهرب يا سيدة الثلج، اليس هذا هو لقبك؟

- لم اكن اهرب من شيء... ها قد اتت القهوة مع الفطور. اتسمح لي ان اصب لك قدحاً من القهوة؟

- نعم... شكراً.

- اتفضل قهوتك مع الحليب والسكر ام بدونهما؟

- احبها مع السكر فقط اذا سمحت.

- لك ما تريد.

لاحظ انها تتأمل العلامة النائمة على خده، فأسرع الى القول:

- تهتم كل النساء بمعرفة سبب هذه العلامة. سقطت وأنا



www.elromancia.com

طفل من يد مربيتي على طرف المدفأة، فساعدت سخونتها على بقاء اثر الحادث حتى اليوم، مثل اي وشم. اتجدينها قبيحة؟

- لا ابداً... انها تميزك عن غيرك، وهي علامة تليق بنجم.

- الا تليق بانسان خاطىء ايضاً؟

- ومن قال انك انسان خاطىء؟ انك الكونت الايطالي نيكولاس فرانكويلا الذي يهوى ملاحقة النساء، بقدر ما يهوى الرجل الانكليزي ملاحقة الثعالب.

- وأيهما تفضلين اكثر يا آنستي، مطارد النساء ام مطارد الثعالب؟ ان نظرة واحدة الى عينيك الحلوتين تنبئني بأنك فتاة ذات مُثُل لن ارقى اليها، ولن احاول ذلك مطلقاً. كل ما اطلب منك الآن هو تركي اتمتع بصحبتك، طالما نحن على ظهر هذه السفينة. فهل اطلب الكثير يا آنسة ديلا نيف؟

- ولم كل هذا الاصرار على صحبتي؟ هل تنوي تحويلي الى واحدة من ضحاياك ايضاً؟

- ما تسمينه ضحية هي لمرأة تروق لعيني عادة... اتعرفين انك تذكرينني بزهرة السوسن؟ قامة طويلة ورشيقة، وغموض وكبرياء.

ارتبكت ديلا، فأسرعت الى القول:

- اترغب بالمزيد من القهوة؟



- ان لم تكن قد بردت... ما الذي تخشينه؟ اتخافين تلوث سمعتك اذا ما ظهرت برفقتي؟

- نعم، لأنك من الذين يعشقون الظهور على صفحات الجرائد مع آخر انتصاراتهم النسائية.

- اوتعتقدين انك ستصبحين ضحية فعلاً؟ ارى في عينيك خوفاً من احدهم، وخوفك يمنعك من اقران اسمك باسمي، أليس كذلك يا آنستي؟

تحسس نيكولاس فرانكويلا بكلامه مواضع الألم في اعماق ديلا، فارتجفت السكين بين اصابعها، وتدحرجت من يدها تفاحة كانت تنوي تقشيرها، فسألها:

- اتنوين اغوائي بتفاحة كما اغوت حواء آدم؟

غضبت ديلا ونهضت قائلة:

- لا انوي اغواء احد يا سيدي، فاطمئن، واسمح لي بالانصراف لأنني في هذه اللحظة افضل تهدئة اعصابي بصحبة كتاب... اسعدت صباحاً.

- الى اللقاء يا آنسة...

شقت طريقها بين الموائد بعصبية، واصطدمت عند مدخل المطعم بقامة رجل عرفت فيه البحار الذي استقبلها على ظهر السفينة... تأمل وجهها قائلاً:

- صباح الخير يا آنسة... يبدو عليك النشاط هذا الصباح.



www.elromancia.com

هل انت ذاهبة للاشتراك في بعض الالعاب الصباحية؟

- سأذهب للاستمتاع بدفء الشمس، ورقة نسائم البحر.

هل سيبقى الطقس معتدلاً طوال الرحلة؟

- سيبقى صحواً في اليومين القادمين. هل ستذهبين الى الحفل الراقص مساء غد يا آنسة؟ ان من عادة القبطان اقامة مثل هذا الحفل في بداية كل رحلة، ليتعارف المسافرون... اتمنى ان تكوني بين الموجودين، ويشرفني ان تعديني برقصة.

- اعدك بذلك، لأنني من عاشقات الرقص.

- انني واثق بأنك تتقنين الرقص بقدر اتقانك للغناء.

تذكرت ديلا خلو كلامها معه من اللباقة في يوم سابق، فقالت له:

- اعتذر عن فظاظتي البارحة، ويسرني ان تكون من المعجبين بصوتي، لكنني هنا لاراحة حبالي الصوتية من اي ارهاق، فأرجو ان تتقبل عذري، وتتفهم الأمر.

- اشكرك على لطفك، واشكر الأقدار التي افسحت المجال امامي للتعرف عليك، واؤكد لك انني واحد من آلاف المعجبين بصوتك يا آنسة. اعرفك بنفسي، انا ستيف رينغديل.

- تشرفنا يا ستيف، وافضل ان تناديني ديلا من الآن فصاعداً... اريد ان امضي اجازتي هذه حرة من كل



القيود والألقاب.

- لك ما تريدين يا ديلا... واتمنى ان اراك في الحفل الراقص.

- سأكون من اوائل الموجودين باذن الله.

افترق الاثنان، وذهبت ديلا الى غرفتها لتحضر كتاباً واوراقاً لتكتب رسالة للمرش تخبره فيها عن احوالها.

جالت بنظرها في انحاء الغرفة، وارتاحت عيناها عند باقة الأزهار البيضاء النضرة التي ذكرتها بكلام الكونت نيكولاس، وتشبيهه اياها بزهرة سوسن.

اقتطفت زهرة، وزينت بها باقة طقمها الأزرق، رمزاً للطهر والبراءة، الدرع الذي سيحميها من الكونت الوسيم، صائد النساء.

انتبذت من السفينة ركناً قصياً تغمره الشمس، وجلست هناك تكتب رسالتها تارة، وتقرأ كتابها تارة اخرى.

تناهت الى اسماعها من بعيد اصوات الأطفال، يلهون ويضحكون. فتأكدت ان الكبار لن يصلوا الى مكانها، وستتمتع بعزلتها ما طاب لها ذلك.

تدحرجت كرة حمراء باتجاه ديلا فجأة، ولحقت بها طفلة جميلة، طلقة المحيا، ترددت قليلاً عندما رأت ديلا، ثم قالت:

- أسفة... لم اكن اعلم بوجودك هنا. لقد افزعتني.

اشرق وجه ديلا بابتسامة، وقدمت الكرة للطفلة قائلة:

- لم اقصد افزاعك يا عزيزتي، لكنني فضلت الهدوء والسكون حتى لا افسد عليكم لهوكم بوجودي.

اسرعت الطفلة الى التأكيد:

- انا لا امانع بوجودك مطلقاً، فالكبار يحبون مشاركتنا لعبنا في الكثير من الأحيان. هل عندك اطفال؟

ابتسمت ديلا مجيبة:

- لا... لم اصبح اماً بعد. كرتك جميلة، فحافظي عليها.

- امي غنية، وستشتري لي واحدة اذا فقدت هذه... لقد ترك لها ابي اموالاً طائلة عند انفصالهما. هل تستطيعين السباحة؟ انا لا احبها، ولم اتعلمها في يوم من الأيام، ويغضب ذلك امي كثيراً.

- لماذا تخافين الماء يا صغيرتي؟ السباحة رياضة ممتعة.

- لأن ماء البحر يبللني، ويزعجني طعمه المالح... تكره امي البقاء وحدها وتحب ان تحاط بالناس، وهي ليست مولعة بالأطفال، لذلك سأذهب للاقامة مع جدي وخالتي اللذين يملكان مزرعة للعنب، فذلك افضل من العيش في المدارس الداخلية.

اعطى كلام الطفلة لديلا ابشع صورة عن الأم واسلوب



حياتها، فغيرت الموضوع قائلة:

- ما رأيك بتناول بعض المثلجات يا عزيزتي؟

تحمست الطفلة:

- فكرة رائعة... احب المثلجات المحشوة بالبندق من فضلك. هل ستروق لك صحبتي حقاً؟

- انني وحيدة في هذه الرحلة يا غاليتي، ويسرني التمتع بصحبتك.

- ولم انت وحيدة؟ اليس لديك اصدقاء؟ لدى امي الكثير منهم، رغم انها اكبر منك سناً. انها تغطي وجهها بطبقة كثيفة من الدهون الخاصة لاظهار جمالها، ومع ذلك اراك اجمل منها بكثير. هل انت، مطلقة مثلها؟

- لم اتزوج بعد، حتى اسقط في جحيم الطلاق يا عزيزتي. تأكدي ان الزواج المبني على الاختيار السليم يسعد الزوجين والأولاد ايضاً. ما اسمك يا صديقتي الصغيرة؟

- اسمي هوني... اسم سخيف، أليس كذلك؟

- لا.. ابداً. اجده جميلاً جداً. اسمي ديلا... هيا بنا لنشتري المثلجات.

حاولت ديلا ايجاد مكان فارغ في المقهى، لكن محاولاتها فشلت، فصعدت بالمثلجات الى سطح السفينة حيث استمتعت مع الطفلة بأكلها، وهي تراقب انعكاس اشعة الشمس الفضية

على صفحة المياه الزرقاء الصافية.

غمرت امواج السعادة الطفلة، ففرحت ديلا لفرحها، وتذكرت ايام طفولتها الضائعة على دروب الموسيقى والغناء، التي دفعها اليها مارش. فاندلعت نيران الثورة عليه في اعماقها.

فجأة تناهى الى اسماعها صوت ينادي:

- اين انت يا هوني؟ ماذا تفعلين هنا؟

اكتشفت ديلا ان والدة هوني، التي تقدمت نحوهما بكل جمالها واناقتها، هي المرأة التي كانت برفقة نيكولاس فرانكويلا في يوم مضى.

عندما رأت المرأة المثلجات احتجت قائلة:

- اقترب موعد الغداء، وتناولك للمثلجات بهذا الشكل، سيشبعك يا هوني... ارجوك يا آنسة، اتركي مهمة اسعاد ابنتي وتربيتها لي وحدي من الآن فصاعداً. انظري يا هوني. انظري... اصبحت مثالاً للقذارة...

تدخل نيكولاس فرانكويلا في تلك اللحظة:

- لا ارى ضرورة للغضب يا سيدتي، فالسعادة بادية على طفلتك الحلوة، يذكرني حبها للمثلجات بنفسي عندما كنت طفلاً.

سألته هوني ببراءة:



- وهل كانوا يبيعون المثلجات منذ قديم الزمان؟

- نعم يا عزيزتي... عرفت ايطاليا المثلجات في عصر الفنان العبقري المعروف مايكل انجلو.

قالت والدتها:

- لا تشجع الطفلة كثيراً يا نيكولاس، فأنا اقاسي الكثير في اطعامها وتغذيتها.

- اقبلي دعوتي الى الغداء، وسترين كيف ستقبل الطفلة على الطعام بشهية.

ثم التفت الى ديلا قائلاً:

- اشكرك على عنايتك بالطفلة يا آنسة نيف، وارجوك تناسي غضب كاميلا فهي تقلق كثيراً، كغيرها من الأمهات.

- اتمنى تصديقك يا سيدي... الى اللقاء يا هوني. كوني فتاة مطيعة، فقد امرنا الله باطاعة الوالدين.

اصمّت ديلا اذنيها عن نداء الطفلة، ومضت في طريقها غاضبة على بعض الأمهات اللواتي يدعين العطف والحنان للتأثير على اصدقائهن. تذكرت ديلا ما دار بينها وبين نيكولاس فرانكويلا من حديث على مائدة الفطور، وكيف رأته بعد ذلك بصحبة والدة الطفلة، وكأنه نسي موضوع قرب اعلان خطوبته من الوريثة الكبيرة سورين هنتر.

تأكد لديلا ان نيكولاس ماكر خبيث، فصممت ان تلقنه

درساً لن ينساه في الاخلاص وحسن المعاملة.

سمعت وقع خطوات صغيرة، فالتفتت لترى الطفلة تجري نحوها صارخة:

- ديلا... ديلا... خذيني معك.

لكن نيكولاس فرانكويلا كان وراءها، وامسك بها قائلاً:

- انك ماهرة في ترك ابلغ الأثر في قلوب كل من تعرفين.

- لم اكن انوي الاستيلاء على عواطف الطفلة، اذا كان هذا ما تريد قوله يا سيدي. عودي يا هوني... عودي مع السيد وتناولي غداءك. وسنلتقي غداً بإذن الله.

حاولت الطفلة الخلاص من قبضة الكونت وهي تقول:

- اريد تناول الغداء معك يا ديلا.

وصلت كاميلا في تلك اللحظة، وشرر الغضب يتطاير من عينيها:

- ارى انه من السهل عليك افساد الأطفال، لذلك ارجو منك الابتعاد عن طريق ابنتي.

- لا استطيع التغاضي عن رغبة ابنتك في مصادقتي يا سيدتي، وتأكدي ان تأثيري عليها سيكون افضل من تأثير بعض اصدقائك.

قالت ديلا كلماتها، واسرعت عائدة الى غرفتها حيث حاولت تهدئة اعصابها. زادتها الكلمات ثقة بنفسها، وبقدرتها



على معالجة الامور حتى وهي بعيدة عن مارش. لكن ذكرى نيكولاس فرانكويلا الغامض بقيت ترهبها وتمنع الهدوء عنها. فشغلت افكارها بقراءة الرسالة التي كتبتها لمارش، معبرة عن شوقها له وتعلقها به.

قارنت بين مارش ونيكولاس واحست بالفرق بينهما، فمارش يوحي بالطمأنينة، والثبات، والوضوح، بقدر ما يخيفها نيكولاس بغموضه، ومكره، وخبثه.

غيرت ملابسها، وذهبت الى المطعم لتناول الغداء. رحب جو هارتلي بقدومها:

- تبدين جميلة جداً يا آنسة نيف... اعتذر عن عدم مشاركتك طعام الفطور. كنت اشكو من صداع اليم.

- ترى ما سببه؟

- اعتقد ان شعوري بالوحدة، وأرقي المتواصل هما السبب في كل ما اشكو هذه الأيام... استغرب يا ابنتي ان تكون شابة جميلة مثلك وحدها في هذه الرحلة.

اخبرته ديلا عن حاجتها للراحة والوحدة بعد موسم غنائي مرهق، واخبرها هو عن الفراغ الكبير الذي تركته زوجته في حياته بعد رحيلها. انهيا طعامهما وانتقلا معاً الى غرفة جلوس المسافرين، حيث شربا القهوة. اشعل جو لفافة تبغ قائلاً:

- من نعم الله على الانسان ان يأذن له بحب صادق يداعب

قلبه، ويعينه على متابعة رحلة الحياة المليئة بالعقبات. واعتقد ان وجودك على ظهر هذه السفينة هو محاولة للهروب من عملك الذي التهم عمرك، والبحث عن حب صادق حقيقي يشعرك بوجودك. اعملي بنصيحتي يا ابنتي، واستمتعي برحلتك، فأنت هنا قريبة من السماء ونجومها، والبحر وامواجه. افتحي قلبك للحب، فهو درع الانسان الواقي من ضربات الحياة الموجعة. لقد اسعدت قلوب الكثيرين بأغانيك، لكن قلبك لم يسعد حتى الآن بأغنية حب واحدة، أليس كذلك؟

فكرت ديلا بكلمات تقولها، لكنها فضلت السكوت، واستغرقت في تأملاتها حتى سمعت جو يقول:

ـ اتمنى لو كنت رساماً، حتى استطيع اسر جمال الطبيعة الذي يحيطنا في لوحة.

ـ ما كل هذه الشاعرية يا صديقي؟

ـ اتعرفين ان زوجتي لم تكن تحب الماء؟ لهذا لم اصطحبها يوماً في رحلة بحرية. لقد اصيبت بذات الرئة وهي تحاول انقاذ عصفور جريح، سقط في يوم عاصف في حديقة بيتنا. حاول الاطباء انقاذها بالعلاجات المعروفة، لكن جسمها رفضها كلها... كانت ملاكاً.

حاولت ديلا التخفيف من وطأة الذكريات، فأمسكت يد العجوز قائلة:



ـ ليكن املك بالله كبيراً، وتمتع برحلتك يا صديقي.

كانت ديلا ما تزال تحاول التخفيف عن جو، عندما مر الكونت نيكولاس فرانكويلا بالنافذة. رأى يدها في يده، فارتسمت على ثغره ابتسامة سخرية مرة لمحتها ديلا قبل ان يتابع طريقه مبتعداً عن النافذة.

اخجلتها ابتسامته... مزقتها نظراته، وتركتها ريشة في مهب الريح.

٣ـ «ان المرأة مزيج غريب من القوة والضعف. اما أنت يا عزيزتي، فتضيفين الى ما سبق من الصفات جمالاً صاعقاً يجعلك قبلة للأنظار».

www.elromancia.com

اختارت ديلا للحفل الراقص فستاناً مفرطاً في الأناقة، أصفر اللون، ذا أكمام طويلة واسعة.

كانت قد اتفقت مع جو هارتلي أن يأتي ليصطحبها الى قاعة الاحتفالات، وعندما طال انتظارها، قررت الذهاب وحدها.

التفّت بإزار حريري، واتخذت طريقها الى القاعة وقد صممت على التحرر من كل القيود، والرقص حتى الصباح مع ستيف رينغديل، الذي تمنت ان تجده بانتظارها.

شقت طريقها عبر ممرات السفينة بهدوء، تسبقها اشراقتها وجمالها الاخاذ.



عندما وصلت الى سطح السفينة، لفت انتباهها خيال رجل فضل صحبة النجوم، واستجاب لنداء الظلمة، ووقف يتأمل أمواج البحر وحيداً. أفزعها وجوده، فهربت منها صرخة فضحت خوفها، ونبهت الرجل الى وجودها. فالتفت نحوها، ووقفت ديلا وجهاً لوجه مع نيكولاس فرانكويلا بكل أناقته ووسامته.

سرت رجفة في أوصالها قبل ان تسمعه يقول:

ـ أهذا أنت يا آنسة؟ حسبتك شبحاً في البداية.

ـ لماذا تخاف الأشباح؟ هل أنت من المذنبين الذين يخافون الأرواح المعذبة؟

ـ ما الذي يجعلك تعتقدين أنني من المذنبين لا سمح الله؟ هل ينبع شعورك من كوني ايطالياً وليس انكليزياً؟ ثقي ان بامكاني أن أكون أخاً وأباً يربت على يدك، ويشجعك بابتسامة...

ـ كفى أرجوك... اذا كنت تقصد السيد هارتلي بكلامك فهو صديق عزيز، وصاحب قلب طيب، ويؤلمني ان أسمعك تتكلم عنه بهذه الطريقة. يحتاج هذا الانسان الى من يفهمه ويساعده في محنته... لماذا أتعب نفسي بالكلام؟ أين أنت من آلام الناس ومشاكلهم؟ انك انسان أناني...

ـ على رسلك يا سيدة الثلج، لا تدعي الغضب يتلاعب



www.elromancia.com

ببرودة أعصابك.

أمسك بكتفيها، فأحست بقربه، ولم تجد فائدة من محاولة دفعه بعيداً. لكن عينيها ترجمتا غضبها الى نظرات حادة لسعته بها.

شعر بغضبها، وفهم نظراتها، فابتسم قائلاً:

- لا تصدقي كل ما يقال عني في الصحف. اعرفيني جيداً قبل ان تصدري حكمك علي، ومن يدري؟ قد نصبح اصدقاء. هيا... انتهزي الفرصة يا سيدة الثلج.

زاد كلامه من ارتباكها، لكنها سألته:

- ماذا تعني؟

- أعني انه من واجبك التحرر من كل قيودك، حتى تستطيعي التمتع برفقتي... على فكرة، هل تجدينني منفراً؟

حاولت ديلا التهرب من نظراته اثناء بحثها عن جواب، ثم قالت له:

- وهل يهمك رأيي بك الى هذه الدرجة؟ ان ثقتك بنفسك كبيرة، ولن تتأثر بمصارحتك بانطباعي عنك. ومع هذا، أقول انني أفضل الرجال ذوي الشعر الأشقر.

- أنا لا استجدي حبك واعجابك، انني أطلبك الليلة للرقص فقط، وقد أطلب منك مرافقتك نهار الغد، عندما نذهب لرؤية روائع فينيسيا، عروس البحر.



- لماذا لا تطلب ذلك من كاميلا؟ أم تراك مللت منها، واصبحت بحاجة للتغيير؟

تقلصت قبضتاه حول كتفيها وهو يقول:

- ان كاميلا امرأة عصرية، لا يهمها الماضي ومخلفاته، وقد استولى علي شعور بأنك تختلفين عنها. لذلك فكرت بأن أكون دليلك في أنحاء المدينة التاريخية العريقة، الا اذا كنت اتفقت مع السيد هارتلي على مشاريع أخرى.

- انها المرة الأولى التي أزور فيها فينيسيا، ويسرني ان أتجول في انحائها مع من يعرفها جيداً مثلك.

تراخت قبضتاه قليلاً وهو يقول:

- شكراً لك... أتعرفين انك نحيلة بعض الشيء، وقد تعود هذه الرحلة عليك بالفائدة؟

- أعتذر لأنني لست ممتلئة القوام كمعظم النساء الايطاليات.

- ان المرأة الايطالية مثل الشمس في دفئها وجذالة عطائها. اما انت يا ديلا نيف فتشبهين القمر في كونك قريبة وبعيدة، جميلة ووحيدة.

- أتعرف أن اسمي الحقيقي هو دولّي؟ وأنه تغير لضرورات العمل؟ والآن... ما رأيك بالذهاب الى قاعة الاحتفالات؟

- أأنت متشوقة لمراقصتي الى هذا الحد؟

ـ لست متشوقة لمراقصتك، بقدر شوقي لوجبة خفيفة مع بعض المرطبات.

سارا معاً باتجاه القاعة التي كانت تتلألأ بالأنوار وتغصّ بالرواد، وتملأ الموسيقى أرجاءها بأحلى الأنغام.

تأبطت ديلا ذراع نيكولاس وهي تدخل القاعة، ولاحظت ان ابتسامة رضا حلوة ارتسمت على محياه وهو يشق طريقه معها متجهاً نحو مكان للجلوس.

كان يرد تحية بعض الموجودين بانحناءة بسيطة من رأسه، وحين وصلا الى مكانهما، ساعد ديلا على خلع ازارها والظهور بكامل أناقتها، بثوبها الذهبي الرائع.

رأتهما كاميلا معاً، فلاحقتهما بنظراتها، لكن ذلك لم يزعج نيكولاس الذي استمر باحاطة ديلا بكل رعايته وعنايته، متناسياً صديقة الأمس التي لفتت الانظار بثوب أحمر زادها جمالاً على جمال.

أما ديلا فقد أحست بحصار النظرات وبداية الهمسات، وغزاها خوف غامض من انتشار الأقاويل والشائعات. لكنها قررت دفن خوفها، واعتبار نيكولاس فرانكويلا رجلاً عادياً، ورفيق سهرة فقط. سألته فجأة:

ـ لماذا قررت اهمال سيدة جميلة مثل كاميلا؟

ـ لأنني أقدس حريتي، وأكره ان تحاول امرأة أسري، لمجرد



انني ظهرت برفقتها مرة أو مرتين.

ـ لا يمكن للصياد تحمل فكرة التحول الى طريدة، أليس كذلك؟

ـ نعم... لكن يمكنني التحول الى راقص على هذه الأنغام الجميلة... اذا تفضلت بمراقصتي.

جذبها الى حلبة الرقص، فتجاوبت مع خطواته الرشيقة، ونسيت نفسها بين ذراعيه القويتين.

كانا يرقصان وكأنهما وحدهما في القاعة. ذابت ديلا بين ذراعيه، اختلطت مشاعرها... تشابكت أحاسيسها. وعلا وجيب قلبها وهي تتذكر ان مثل هذا الشعور لا ينتابها عندما تراقص مارش.

شارفت المعزوفة على النهاية، فأشار نيكولاس الى الفرقة بعزف مقطوعة موسيقية اخرى مشابهة أعادت ديلا الى عالم أحلامها الناعمة، وشجعت الكثيرين على المشاركة في الرقص، داخل القاعة وخارجها.

تأملت ديلا وجه نيكولاس قبل أن تقول:

ـ اكتفت تلك الكتل البشرية باشارة واحدة منك لتتحرك، وترقص، وتغني... انك ذو تأثير غريب على الناس.

ـ هذا ليس الا تأثير الموسيقى الجميلة عليهم.

ـ كفاك تواضعاً يا نيكولاس...

- وكفاك مبالغة يا دولّلي.

عندما عادا الى سطح السفينة، كانت الموسيقى العذبة ما تزال تملأ ارجاء المكان، لكن ديلا التزمت الصمت أمام سكون الليل وروعة القمر، وجمال النجوم التي زينت صدر السماء.

كان نيكولاس قريباً منها بجسمه، بعيداً عنها بقلبه وعقله.

تأملته دون ان تجرؤ على طرق أبواب أفكاره، وعادت بذاكرتها الى الساعات الماضيات التي اكتشفت خلالها أنه انسان رقيق المشاعر والأحاسيس، يهمه اسعاد من حوله.

سألها:

- أتعرفين ان للصمت ملاكاً؟

- قرأت يوماً وصفاً جميلاً للصمت، للكاتب الروسي تشيكوف، اعتبر فيه الصمت لحظات من الهدوء والسكينة ينعم الزمان علينا بها، فنخشى عليه الفرار اذا تكلمنا. أتعتقد حقاً ان للصمت ملاكاً؟

- وكيف لي أن أعرف؟ ان الملاك يهرب من أمثالي...

- ولماذا لا تبتعد عن دروب الحياة الملتوية؟ انك انسان طيب القلب، ولطيف المعشر يا نيكولاس.

- نعم... باستطاعتي ان أكون لطيفاً عندما أريد ذلك، أما



رأي الناس بي فلا يهمني.

- ان الطيبة واللطف غذاء للروح...

- ومن قال لك انني مهتم بتغذية روحي؟ انا يا آنستي أعيش يومي، وأتناسى الغد.

- يفسد كلامك عليّ روعة أمسيتي.

- حتى الساعات الجميلة التي تتحدثين عنها، دخلت الآن سجل الذكريات... أتوافقين على قضاء نهار الغد معي اذا وعدتك ان أكون لطيفاً؟

عجزت ديلا عن ايجاد اجابة ترضي هذا الرجل الخبيث الماكر، صاحب السمعة السيئة الذي يقف أمامها. فتهربت قائلة:

- ولماذا تتعب نفسك بالتفكير بالمستقبل؟ الله وحده يعلم ما يمكن ان يحدث حتى الغد، و...

أحاط برسغها قبل أن يقول:

- أريد جواباً سريعاً وقاطعاً... فكرت بنهار ممتع نقضيه سوية، أما اذا كانت المخاوف مني ما تزال تفترسك، فلك الحق في الرفض. وتأكدي ان رفضك لن يؤرقني.

- يحرمني غضبك من حريتي في اتخاذ قرار... مهلاً. يكاد رسغي ينكسر...

- انك تدفعيني الى مهاوي الغضب بكلامك... تذكري

انني لست انكليزياً بارد الأعصاب.

- وما دخل الانكليز في الموضوع؟

- يصعب عليّ تصديق أنك لم تخرجي بصحبة شاب في يوم من الأيام... تحيرني تصرفاتك، أحياناً اراك مثالاً حياً للعاطفة والرقة، تذوبين بين يدي كطفلة. وأحياناً أخرى أحس بك قاسية كصخرة، وباردة مثل جبل جليد. من أنت؟ من أنت يا دولّي؟

- اسمي ديلا... من فضلك.

- لا يهمني اسمك، أو حتى من غيّره، لأن الانسان هو الذي يعطي الابعاد لاسمه بأفكاره، وفلسفته الحياتية. ان المرأة مزيج غريب من القوة والضعف. انها ضعف تكمن كل القوة فيه. أما انت يا عزيزتي، فتضيفين الى ما سبق من الصفات جمالاً صاعقاً يجعلك قبلة للأنظار، وتحفة يتمنى أي رجل اقتناءها.

اشتاقت ديلا وهي تسمع كلام نيكولاس الى حماية مارش ورعايته، وتمنت ان تصرخ في وجه الكونت، القادم من بلاد الدفء والجمال، ان رأيه فيها لا يهمها، لأنها مخطوبة لرجل رزين، حنون، ثري. لكنها بدلاً من ذلك وجدت نفسها تقول:

- لا حاجة لأن تتعب نفسك بمثل هذا الاطراء، فأنا لست



متعطشة لاعجاب أي رجل...

- لكنك تطربين لسماع مثل هذا الكلام، أليس كذلك؟

- أطرب له اذا كان بقصد التلطف فقط.

- أما زلت تشكّين بحسن نواياي تجاهك؟ اسمعي يا آنستي... انني انسان يعشق الحياة، وأحب خوض تجاربها ومغامراتها. وليس في نيتي طلب مشاركتي في ذلك من امرأة، اللهم الا لفترة وجيزة قد لا تتعدى الساعات...

- وهل تعرف سورين هنتر ذلك؟

- تحب سورين جمع الكؤوس والجوائز، وأؤكد لك انني لم ولن أكون واحداً من كؤوسها في يوم من الأيام.

- أعتقد أنك معها تتحول الى نمر خائف من الصياد.

- ليس الأمر كما تتصورين. ان عشقي لايطاليا يفوق عشقي لأية امرأة. أتوق للعودة الى الماضي بكل أصالته وعراقته... أحنّ للعودة الى مسقط رأسي، والسير في الأزقة التي شهدت طفولتي.

تأثرت ديلا بكلماته المشبعة بالألم، الذي تركز في عينيه.

سألها:

- ألا تستغربين تفضيلي الابحار على الطيران؟ أنجزت بعض



www.elromancia.com

الأعمال في لندن، وقابلت بعض الأصدقاء هناك. وحينما أصيب أحدهم باليرقان عرض علي القيام بهذه الرحلة بدلاً عنه، فوافقت...

أعادت كلمة «يرقان» الى مخيلة ديلا ذكريات مرض يوليوس بولت الموسيقي المشهور، صديق مارش، الذي كان من المفروض ان يرعاها في هذه الرحلة، لولا اليرقان الذي أقعده في اللحظة الأخيرة. لكنها استبعدت ان يكون لنيكولاس ومارش اصدقاء مشتركون.

تأمل نيكولاس وجهها ثم قال:

- قبل أن ادعك تذهبين الى النوم، أسألك مرة أخرى... هل توافقين على تمضية نهار غد بصحبتي؟

اندفعت ديلا مجيبة:

- نعم... متى تريدني ان اكون جاهزة؟

- ستصل السفينة الى زاتر في حوالى السابعة من صباح الغد. سأمر بك، ثم ننتقل الى الشاطىء، حيث يمكننا تناول طعام الفطور في مقهى أعرفه جيداً.

- سألقاك صباح الغد اذن، باذن الله.

- اسمحي لي ان ارافقك الى غرفتك.

- سآتي بإزاري من قاعة الاحتفالات أولاً.

- سآتيك أنا به...



بقيت ديلا وحدها، فراحت تتبختر على سطح السفينة سعيدة بسكون الليل وروعة نسيمه. مضت دقائق قبل ان تلمح من بعيد نيكولاس يتهامس مع كاميلا. فاجأتها رؤيتهما على هذه الحال، فانطلقت الى غرفتها لا تلوي على شيء.

أغلقت على نفسها الباب، لكن ذلك لم يساعدها على استعادة هدوئها. حين سمعت طرقات على بابها، عرفت انه نيكولاس، فصرخت:

- اذهب عني. دعني وشأني... أرجوك.

ابتعد نيكولاس عن الباب، وانتظرت ديلا قليلاً قبل ان تفتحه، فوجدت ازاراً مطوياً امامه، ومرفقاً برسالة. فكرت بتمزيقها، لكن الفضول منعها.

كتب على الورقة: «تصبحين على خير، والى اللقاء غداً...».

ازعجتها ثقة الرجل بنفسه، ومع ذلك قررت ان تكون عند وعدها له بتمضية نهارها معه، لأنها تحب الاسترخاء ساعات في حضن التاريخ، تتنشق عبيره، وتعايش شخصياته من خلال التمعّن في آثارهم ومخلفاتهم، الأمر الذي لا تتيحه لها أية رحلة سياحية جماعية. عذبتها الحيرة وهي تستعد للنوم، لأنها لم تفهم منبع الألم الذي انتابها عندما رأت نيكولاس مع كاميلا،



www.elromancia.com

هل هو الغيرة؟

أرقها السؤال، وأتعبها التفكير بالكونت الوسيم الذي قلب حياتها رأساً على عقب. لكن النوم أشفق عليها، وأعادها عند الفجر الى دياره.

اشرقت شمس الصباح، فاستيقظت ديلا لتجد السفينة راسية في ميناء زاتر.

اقتربت من نافذتها الضيقة، ومتعت انظارها بمناظر الميناء الرائعة قبل ان تسمع قرعاً على الباب، دخل بعده لاركن حاملاً معه قدحاً من القهوة الساخنة. حياها تحية الصباح وقال:

ـ قال الكونت نيكولاس أنك ستكونين بحاجة لمثل هذا القدح من القهوة قبل البدء برحلتكما السياحية التي أرجو ان تستمتعا بها. تعتبر فينيسيا من أجمل الأماكن السياحية في العالم. فيها تمتزج العراقة بالجمال، وأعتقد ان ركوبك الجندول لمشاهدتها سيترك في نفسك أعمق الأثر...

ـ لا شك في ذلك، وأعتقد أنني محظوظة لأنني سأراها بصحبة واحد من أبنائها.

ـ أتمنى لكما قضاء يوم سعيد... الى اللقاء يا آنسة.

ـ الى اللقاء، وشكراً لك يا لاركن.



شربت قهوتها وهي تتأمل ما يحيطها من مناظر رائعة. ثم استحمت، وانتقت لرحلتها السياحية فستاناً أبيض يتناسب مع اللون البرونزي الذي اكتسبته من تعرضها لأشعة الشمس.

امتلأت ثقة بنفسها وهي تتأمل انعكاس صورتها في المرآة، لكن سماعها لطرقات خفيفة على الباب أعاد التوتر الى أعصابها، لمعرفتها أنها ستواجه الكونت نيكولاس بعد ثوان.

فتحت الباب، فتأملها نيكولاس، ثم حياها:

ـ صباح الخير. أراك على أتم الاستعداد للبدء برحلتنا السياحية.

ـ أسعدت صباحاً. قمت بالاستعداد باكراً، حتى ارحمك من جحيم الانتظار، وأتمنى ان اكون قد انتقيت ما يتناسب مع الرحلة.

ـ انك جميلة جداً يا آنستي، وهذا يثقل عاتقي بمسؤولية حمايتك من عيون المعجبين التي ستلاحقك أينما ذهبت. لكن اسمحي لي ان اقترح استعمالك لقبعة تحميك من حرارة الشمس عند الظهيرة.

انتقت قبعة وسألته:

ـ ما رأيك بهذه؟



www.elromancia.com

- تتناسب تماماً مع فينيسيا التي تعلّم كل روادها أصول الاستمتاع بالحياة.

- أعتقد انك تعلمت هذا الدرس جيداً.

خرجت من الغرفة، فتبعها وساعدها في النزول الى الجندول الذي سيقلهما الى الشاطىء.

تأملت ديلا الجندول باعجاب... مركب قديم الطراز، حلو الزخارف، مقاعده مريحة ومفروشة بوسائد حريرية حمراء. أما البحار الذي يقوده فقد ارتدى بنطالاً داكن اللون، وقميصاً أبيض، واعتمر قبعة ضخمة حمراء الحوافي.

شق الجندول عباب المياه ببطء، تاركاً شعوراً بالارتياح والطمأنينة يستولي على ديلا.

قال نيكولاس بعد دقائق:

- أريحي نفسك من ثقل الافكار...

ابتسمت قائلة:

- هذه أول مرة أركب فيها الجندول.

- اعتبر ركوب الجندول افضل وسيلة لرؤية فينيسيا، وأعتقد انها تليق بك كفنانة رقيقة حالمة.

- يكفيني ان اكون سائحة في فينيسيا، ويسرني ان ترافقني في انحائها كدليل سياحي.

- تعتبر فينيسيا منبعاً من منابع الحب...



- أتعني اننا سنعيش قصة حب؟

- الله وحده يعلم يا سيدة الثلج. الله وحده يعلم...



www.elromancia.com

٤ - لا تعرف ديلا كيف يمكنها ان تحكم على مثل هذا الانسان. له وجهان، وشخصيته المزدوجة تجمع بين القسوة والحنان، بين الرقة والعنف...

www.elromancia.com

تنهدت ديلا:

ـ يوحي كلامك بأنك تخاف الحب يا نيكولاس، وتعتبره نوعاً من السم الزعاف الذي يهدد القلوب.

ـ اذا كنت قد اوحيت لك بذلك، فلأنني اعرف تأثير فينيسيا السحري على النساء.

قالت له ديلا وهي تتأمل ساحة سان ماركو بأعمدتها الرخامية، والحمام الزاجل الذي يطير في ارجائها:

ـ اؤكد لك انني اختلف عمن تعرف من النساء... ما اجمل الساحة. ما اروع بصمات الزمن الواضحة في كل مكان. لا



اصدق ان الماء قد يبتلع في يوم من الأيام كل هذه الابداعات الفنية.

ـ تمتعي بيومك وتناسي الغد. ان نقاء نسائم فينيسيا وحلاوة مناظرها ينسي الانسان المدن المزدحمة وهواءها الملوث. ما رأيك بالذهاب الى ذلك المقهى المنعزل الذي حدثتك عنه؟

ـ كم عدد النساء اللواتي اصطحبتهن الى هناك يا نيكولاس؟

ـ يصعب علي ان احصي عددهن يا عزيزتي.

ـ مزاحك اليوم ثقيل...

حدجها بنظرة هدمت قلاع مقاومتها كلها، فأشاحت بوجهها عنه تاركة الدموع تملأ مآقيها، لاحساسها بأمواج من السعادة الحقيقية تزحف نحو كيانها. كان نوعاً من السعادة لم تعرف له مثيلاً من قبل.

ـ انظري الى هذا البناء البيزنطي، والى القصر المسمى قصر الذهب النائم على يساره.

تأملت ديلا بقايا التاريخ مشدوهة بعظمتها، وبعدما حيت بنظراتها أزقة المكان الضيقة والشرفات المطلة على البحر، غابت مع خيالها، فتصورت نيكولاس فارساً مقداماً يحمي عظمة المكان بسيفه البتار.

رسمت افكارها ابتسامة حلوة على ثغرها، فسألها نيكولاس:

- هل يمكنني مشاركتك افكارك؟

- مرت لحظات، خلتك فيها فارساً شجاعاً، يحمي المكان بسيفه.

- انني فارس اباً عن جد، وذو اصول عريقة يا آنسة.

- انني متأكدة من ذلك، لكن الألقاب في انكلترا قد تمنح لرجل اعمال معروف، او سياسي محنك.

- اعطني مثالاً على ما تقولين.

- لا تسعفني ذاكرتي في الوقت الحاضر... لا بد ان هذه القصور الجميلة قد شهدت الكثير من المؤامرات والدسائس، وانها مليئة بالأرواح المعذبة.

- صدقت... كانت المدينة قديماً مرتعاً خصباً للشعراء، والفرسان، والقراصنة المغامرين. كان جمالها يوازي خطرها.

- هل لديك جذور في هذه المدينة؟

- جدتي مولودة في فينيسيا، اما انا فمدينة توسكاني التاريخية الحلوة، هي مسقط رأسي... اسمعي صوت الأجراس.

كانت الأجراس تقرع بدون توقف، والطيور تحلق فوق القباب المزخرفة بشكل زاد المكان شاعرية.

تابع نيكولاس:

- اتعرفين ان الناس هنا تعتبر هذه الطيور ارواحاً هائمة؟ اشبه فينيسيا بامرأة حلوة غافية على شاطىء البحر، تنتظر



قدرها، واراها تكافح شبح الموت بارادة الحياة. لا... انها بالنسبة الي مثل الحب، حلم رائع، مستحيل التحقيق.

فضلت ديلا الصمت، لكن افكارها بقيت تحوم حول نيكولاس فرانكويلا الذي احست بانقلابه من انسان يتلاعب بالحياة الى آخر يرزح تحت اثقالها. لم تفهم سبباً لتغيره، ولم تسأله تفسيراً له، لخوفها من ان يعتبر ذلك تدخلاً في شؤونه الخاصة.

طلب نيكولاس من صاحب الجندول ان يتوقف، وقال لديلا:

- ها هو المقهى الذي كلمتك عنه.

احست بالدوار وهي تحاول صعود الدرجات العتيقة المؤدية الى الرصيف الحجري، لكن وجود نيكولاس الى جانبها اعاد اليها توازنها.

قالت له:

- كنت على حق عندما قلت انه مكان منعزل.

- هل ندمت على مجيئك اليه معي؟ هل كنت تفضلين البقاء مع مجموعة المسافرين؟

اعجبت ديلا بالبناء الحجري القديم ذي النوافذ العتيقة، للمستكين الى حضن غابة من اشجار السرو، فتهربت من الجواب بقولها:



www.elromancia.com

- لا يزال المقهى مغلقاً، فكيف يمكننا تناول طعام الفطور فيه؟

- ابن عمي انجيلو هو صاحب ومدير هذا المكان، فلا تقلقي وثقي اننا سنكون موضع حفاوة وتكريم. ابن عمي هذا رجل نشيط، ومثقف، ويتقن الغناء، وقد ساعده ذلك في تحويل المكان الى بقعة تجتذب السياح.

- كنت تنوي القدوم الى هنا منذ البداية، أليس كذلك؟

- فضلت اولاً وقبل اي شيء اكتشاف مدى تأثرك بفينيسيا. وقد صدق ظني في كونك تختلفين عن غيرك.

- ان من عرفت من النساء...

قاطعها قائلاً:

- ما رأيك بان نتفق اليوم على ان تنسي النساء في حياتي، واتناسى رجل حياتك؟

- من هو رجل حياتي؟

- هل هناك غير السيد هارتلي؟ انه يهبك الأمان والطمأنينة، اللذين تفقدينهما عندما نكون سرية، أليس كذلك؟

- لست ساذجة الى هذا الحد، لكنك تحيرني بغموضك. هل يملك ابن عمك هذا المكان حقاً؟

- انا لا اكذب الا نادراً. يملك ابن عمي هذا المكان فعلاً... سأعرفك اليوم عليه وعلى جدتي، التي تحب الموسيقى



والغناء، وستسر بلقياك.

- لا اصدق انك قررت القدوم الى هنا فجأة.

ضغط على ذراعها قائلاً:

- افهمتك قبل قليل انني لا اكذب، اما اذا كانت هذه طريقتك في التهرب من الاجتماع بأقاربي، فلك ما شئت. اقترحت الاجتماع بهدف اكساب زيارتك ابعاداً انسانية، لا يمكن ان تتوفر للسائح العادي.

- معك حق... اعذرني، وتأكد ان التعرف على بعض افراد عائلتك سيفرحني.

- اتحاولين مجاملتي؟

- لا ... ابداً.

- اتعتقدين حقاً ان يوماً واحداً بصحبتي سيكفيك؟ لماذا لا نبقى سوية ستة اشهر مثلاً؟

- رغم انك تتكلم مثل اي انسان لا اخلاقي، الا انني مضطرة للمجاهرة برأيي في هذا الموضوع. ان العلاقات الانسانية المتينة لا يحدها زمن. خذ مثلاً السيد هارتلي، بقي متزوجاً عشرين عاماً، وهو يصطلي الآن بنار الوحدة بعد فقده لزوجته.

- لا بد ان السيد هارتلي الذي تتخذينه مثلاً عرف معنى الحب الحقيقي، وهذا النوع من الحب نعمة لا يعرفها الا



www.elromancia.com

الطيبون.

- وهل تنقصك الطيبة الى حد حرمانك من السعادة الحقيقية؟

- وما هي السعادة الحقيقية يا آنسة ديلا نيف؟ انا لا اراها في عينيك، ترى هل تخبئينها في قلبك؟

- لا دخل لك بما يخبئه قلبي.

- معنى هذا ان لديك اسرارك الخاصة مثلما لي اسراري.

- تماماً... اكاد اموت جوعاً يا نيكولاس.

- مسكينة يا صغيرتي. سأذيقك خلال دقائق الفطيرة الايطالية الاصلية. هيا بنا.

شعرت ديلا بيده تعانق يدها وهو يقودها نحو البناء. فارتعش قلبها كعصفور خائف.

دخلا المطبخ من باب جانبي وجده نيكولاس مفتوحاً. كان المكان واسعاً، نظيفاً، ابيض، عالي الجدران، ذا سقف خشبي. اما لوازم الطبخ فقد علقها صاحبها على الجدران، وترك في المنتصف مائدة خشبية ضخمة يستخدمها لعجن فطائره، وتقطيع ما يلزم من خضار وما شابه.

ظهر صاحب المكان فجأة على عتبة باب في زاوية المطبخ، وهو يحمل كيس طحين ضخماً. ناداه نيكولاس محيياً:

- مرحباً انجيلو... كيف حالك؟



لم يعرفه انجيلو في اللحظات الأولى، مما اكد لديلا انه لم يره منذ سنين. تأمله ملياً قبل ان يتساءل:

- اهذا انت يا نيكولاس؟ لا اصدق ما تراه عيناي.

قال كلماته، ورمى كيس الطحين، واندفع يعانق نيكولاس صارخاً:

- اهلاً بك... اهلاً بك. طالت غيبتك يا ابن عمي.

- معك حق... لم ارك طوال ستة اعوام يا انجيلو.

تأثرت ديلا بسيل الأحاسيس الصادقة الذي شعرت به يجرف الرجلين. وسمعت انجيلو يقول:

- احمد الله على رؤيتك بخير. احمد الله كثيراً... تبدو لي جائعاً.

قال نيكولاس:

- اراك ايضاً بصحة جيدة ولله الحمد. يظهر انك تستمتع بما تطبخ من اصناف الفطائر. كتبت لي جدتي عن نجاحاتك في رسائلها.

- تذكر انني امثل الجانب التجاري في العائلة... وانت، هل وجدت عملاً يسعدك، ويشغل اوقاتك؟

ابتسم نيكولاس:

- لم اشك من الفراغ يوماً، فاطمئن. انجيلو... اقدم لك الآنسة ديلا نيف، مغنية الاوبرا المشهورة.



www.elromancia.com

- تسعدني معرفتك يا آنسة. اهلاً بك... انني معجب بالغناء الأوبرالي، واذهب لحضور الحفلات، كلما افسحت لي مشاغل الحياة مجالاً. هل غنيت يوماً في فينيسيا يا آنسة؟

- لا يا سيدي، مع الأسف. هذه زيارتي الأولى لفينيسيا، لكنني سمعت عنها وعن عشق اهلها للموسيقى. ويسعدني ان اغني لهم في يوم من الأيام.

- اشكرك على لطفك بالنيابة عنهم يا آنسة.

قال نيكولاس بلهجة آمرة:

- اننا جائعان يا انجيلو. ما رأيك بتحضير فطيرة من فطائرك المشهورة، لنأكلها ونشرب قدحاً من القهوة الساخنة بعد ذلك؟

حملق انجيلو في وجه ابن عمه بشكل اشعر ديلا بأن السنين التي غابها نيكولاس عن عائلته تركت فيه آثار قوة وعنف لم يعرفوها فيه من قبل.

سيطر انجيلو على انفعالاته وقال:

- سأذهب لتحضير وجبة الفطور بعد ان ادلكما على الصالة الرئيسية حيث يمكن لكما الارتياح قليلاً.

ادخلهما الى غرفة فخمة قديمة الطراز، تناثرت على جدرانها لوحات رائعة ومرايا اثرية، عدا الستائر والثريات الثمينة. اما شعار الأسرة، والدليل على نبلها واصالتها، فقد كان حيوان الغريفون الخرافي، المنقسم الى نصفين، نصف نسر ونصف



اسد، وقد كتب تحت الشعار عبارة باللاتينية لم تستطع ديلا تفسيرها، فطلبت ذلك من نيكولاس بابتسامة، فقال:

- كلمات العبارة تقول: نحن نستملك، ثم نحمي املاكنا.. هذا القول لا ينطبق علي، أليس كذلك؟

- نعم هذا صحيح. انك انسان قاس، تسخر من الحياة، وتعشق الحرية و...

قاطعها بقوله:

- واختلف جذرياً عن انجيلو اللطيف، وجو هارتلي الحنون، أليس هذا قصدك؟

اضحكها كلامه:

- كل ما استطيع قوله هو انك نيكولاس فرانكويلا، الرجل الفريد...

عاد الى مقاطعتها:

- بل قولي انني نيكولاس فرانكويلا الرجل الحقير، الخسيس.

لم تعرف ديلا كيف يمكنها ان تحكم على مثل هذا الانسان، فقالت له:

- من يدري؟ قد تكون كذلك فعلاً. ترى من مواليد اي الأبراج انت؟

- هل ستساعدك معرفة برجي على الهضم؟

- اعتبره فضولاً لا اكثر. اؤمن ان معرفة الابراج تساعد الانسان على التسرب الى اعماق اخيه الانسان، والتعامل معه بمعقولية.

- اما انا فيكفيني كلامك لاعرفك يا ديلا نيف.

- انني اؤمن بالوضوح، فلا تتعب نفسك في محاولة سبر اغوار نفسي، وتأكد انه لم يتغير فيّ الا اسمي.

- الم تتغير شخصيتك بتغير اسمك؟

توترت اعصابها، لكنها سيطرت على التوتر بقولها:

- اؤمن ان للأبراج اكبر الأثر على شخصياتنا يا سيدي.

- لن احاول زعزعة ايمانك... انني يا آنستي من اصحاب برج الجوزاء.

- انت اذن صاحب شخصية مزدوجة، تجمع بين القسوة والحنان، وبين اللطف والعنف.

اشرق وجه نيكولاس بابتسامة حلوة:

- تعجبني براءتك وصفاؤك.

.. لا تدع ازدواجيتك تقلقك، فأنت انسان اولاً واخيراً.

- اتعتقدين انني انسان خاطىء فعلاً؟

- انني اشعر بذلك، لكنني لا استطيع ان اجزم به. ما اجمل هذه المراة. لا عجب في كون القصر ملتقى السياح، فهو مليء بالتحف واللوحات النادرة.



- اعتبر الفن درباً يسلكه الانسان بحثاً عن الخلود. اتعرفين انك مثال رائع على ابداع الله تبارك وتعالى في خلقه...

- ما هذا الكلام المنمق يا نيكولاس؟ اهو احد وسائلك في الايقاع بالنساء؟ اعتقد ان كل النساء سواء، خصوصاً بعد وقوعهن في فخ الرجل.

تقدم منها خطوة وهو يقول:

- اما انت فتختلفين عن بنات جنسك، أليس هذا ما تودين قوله؟

فتح انجيلو الباب في تلك اللحظة، ودخل مع الفطائر الطازجة، فغير نيكولاس مجرى الحديث بقوله:

- اخيراً وصلت مع الفطائر... ما اشهى رائحتها.

جلس نيكولاس مع ديلا حول احدى الموائد المستديرة في القاعة، بينما كان انجيلو يقول:

- ما تزال الفطائر ساخنة، اتمنى ان تعجبكما... سآتي بالقهوة لنشربها سوية.

اكد نيكولاس:

- يسرنا انضمامك الينا يا ابن عمي، فأنا لم استمتع باحاديثك منذ زمن. كيف حال جدتي؟

- انها بألف خير ولله الحمد، وفي شوق دائم للغائبين، وبخاصة انت يا نيكولاس و.. سأعود مع القهوة في الحال.

حاولت ديلا ان تتجاهل تغير انجيلو المفاجيء للحديث، لكن ضيقاً غريباً جثم على صدرها. سمعت نيكولاس يقول:

- ماذا بك؟ لماذا لا تأكلين بشهية؟

- لا شيء... لا شيء ابداً.

عاد انجيلو مع القهوة قائلاً:

- طلبت من مارغريتا الا تخبر الجدة بوصولك. اريد ان افاجئها... سيفرحها وجودك... اتذكر مارغريتا؟ لقد كبرت واصبحت فتاة جميلة، وافكر بالزواج منها في نهاية هذا العام.

استغرب نيكولاس:

- يا لك من خبيث، ولماذا لم تخبرني جدتي بنبأ خطوبتكما في رسائلها؟ اهو سر حاولت اخفاءه عني؟

اسرع انجيلو الى القول:

- خافت ان يذكرك ذلك بـ...

اجبرت نظرات نيكولاس انجيلو على الصمت، فتطلع المسكين نحو ديلا التي ابتسمت رغم ضيقها قائلة:

- اهنئك يا سيد انجيلو، واتمنى لك السعادة، فأنت انسان تستحق الخير كله.

- اشكر لطفك يا آنسة...

عاد نيكولاس لسؤال انجيلو:

- هل جدتي سعيدة بتطورات الأمور؟



- اعتقد ذلك، فهي تحب مارغريتا، وتريد ان تراني مستقراً في بيت، ومسؤولاً عن عائلة. لقد شارفت على الأربعين يا نيكولاس، واتوق الى تكوين اسرة قبل فوات الأوان.

قال نيكولاس:

- اما انا، فرغم جمال الآنسة نيف، الا انني لا اتخيلها اماً لأولادي.

صعقت ديلا:

- من قال لك انني اقبل بان اكون اماً لاولادك؟ ثم... ثم... من اكد لك انني قد اتحمل فكرة جعلك اباً لأولادي؟ انت لا تصلح اباً يا نيكولاس، انت اعزب، وستبقى كذلك لأنه لا يخوض تجربة الزواج الا الرجل الناضج، المخلص، المحب. وانت تفتقد هذه الصفات يا... يا زير النساء.

فوجيء انجيلو بعنف ديلا، فقال لنيكولاس:

- الا تعرف الآنسة نيف انك...

اسكته نيكولاس بقوله:

- الآنسة نيف محقة في كل ما قالته عني، وفي كل ما اسبغته علي من صفات. انا انسان لا اخلاقي، اتلاعب بالمشاعر والأحاسيس، تلاعب الهواء بحشائش المروج... لا تنس انها



www.elromancia.com

انكليزية، والانكليز مشهورون ببرودة الأعصاب والتعقل، على عكسنا نحن الايطاليين. اتعرف ان الزواج بين الانكليز يقوم على اساس رغبة الاثنين بالتعاون في تحمل اعباء الحياة فقط؟

علا صوت ديلا:

ـ كفاك كلاماً عن الانكليز بهذا الشكل، انهم عقلاء، يعرفون معنى الحق، والخير، والعدل.

ـ ومن قال انني اشك في الحق والخير والعدالة الانكليزية، لا سمح الله؟ لكن هذه المثاليات لا تمت للواقع بصلة. تقسو الحياة يا عزيزتي على هؤلاء الذين يحاولون العيش في صوامع الخيال الباردة، وتبعث اليهم عادة بمن يدفىء صرامعهم، ويعيدهم الى ارض الواقع صاغرين.

ـ وهل تعتقد انك ستدفىء لي صوامعي الباردة؟

ـ اياك والشك بقدرتي على ذلك، يا حلوتي.

ـ احتفظ بغزلك للنساء الأخريات يا نيكولاس... استأذنكما بالانصراف. فقد نلت كفايتي من هذه التفاهات.

قامت تستعد للانصراف، لكن قهقهة نيكولاس سمرتها في مكانها، وسمعته يقول:

ـ أليست ديلا رائعة عندما تغضب يا انجيلو؟



وجهت ديلا كلامها الى انجيلو:

ـ ارجو منك ايجاد وسيلة تعيدني الى السفينة يا سيد انجيلو. اشكرك على الفطور الرائع، واصارحك ان ابن عمك لا يؤمن بأن النساء تختلف كاختلاف اصابع اليد.

صرخ نيكولاس بابن عمه:

ـ تجاهل طلب الأنسة بالعودة يا انجيلو. ديلا، لماذا تحاولين الهرب مني؟

صرخت ديلا غاضبة:

ـ عليك اللعنة يا نيكولاس، كفاك ادعاء بأنك تستطيع قراءة افكاري... لو كنت تستطيع قراءتها فعلاً، لعرفت انني لا احتمل امثالك من الرجال. فأنت تفتقر الى اللطف، وحسن المعاملة.

ـ قد يكون الأمر كذلك، لكنني انسان شريف... لا تقلق يا ابن عمي، انا والأنسة نيف متفاهمان. وما تراه من غضب وصراخ، يزيد متانة روابطنا... سنذهب الآن لزيارة جدتي.

خاطبت ديلا انجيلو:

ـ كيف يمت انسان لطيف مثلك بصلة قربى لمثل هذا الخبيث يا انجيلو؟

ابتسم انجيلو قائلاً:



www.elromancia.com

- كل ما في الأمر ان ابي كان شقيقاً لابيه يا آنسة.

لاحظت ديلا نظرة انجيلو الى ابن عمه، فأحست منها بأن نيكولاس كان يختلف في الماضي عما هو عليه الآن. فأجبرها احساسها على البقاء، ومحاولة التعمق في مجاهل حياة نيكولاس. قالت لأنجيلو:

- سأذهب مع نيكولاس للتعرف على جدتكما.

- حسناً... هل شبعت يا آنسة؟ اتريدين المزيد من القهوة؟

- لا شكراً.

- وانت يا نيكولاس؟

- اكلت وشربت كفايتي، الحمد لله. هل ستكون جدتي مستعدة لاستقبالنا؟ اما تزال تقضي صباحها في الفراش؟ لم اعد اعرف عاداتها مع الأسف. فقد مضى وقت طويل على غيابي.

قال انجيلو:

- نعم... مضت ست سنوات طويلة على آخر مرة رأيناك فيها. ستجدها جالسة على الشرفة. هل اسبقك واخبرها بقدومك؟

- لا ... لا . اريد مفاجأتها رغم خوفي عليها من وقع المفاجأة.



- لا تخف. اذهب وداو الجراح التي تركها غيابك في قلبها. اذهب يا ابن عمي... كان الله معك.

- سأذهب... الى اللقاء يا أنجيلو. هيا بنا يا ديلا... تعالي لأعرفك بالمرأة الوحيدة التي تحبني بصدق...



www.elromancia.com

٥ - هذه هي المرة الأولى التي ترى فيها الوجه الانساني لنيكولاس، المفتقر الى كل ما تتمناه في فتى احلامها، ومع ذلك يشرق في سماء حياتها!

www.elromancia.com

اكتحلت عينا ديلا برؤية المياه الرقراقة تتدفق من بحيرة صغيرة توسطت شرفة واسعة، احاطتها ازهار مختلفة الأشكال والألوان، وطربت بسماع زقزقة العصافير على اغصان شجر الليمون المثقلة بالثمار. تقدمت مع نيكولاس نحو الشرفة، حيث جلست سيدة عجوز، صغيرة القد، في كرسي خشبي ابيض كبير. كانت السيدة الملتفة بشال صوفي اسود تراقب فتاة سوداء الشعر جلست على الأرض بالقرب منها، تقشر البازلاء في وعاء.

لم تنتبه المرأتان للزائرين، فبقيت ديلا تتطلع اليهما، وترقب



في اجتماعهما تلاقي الماضي مع الحاضر.

اوشكت ان تصارح نيكولاس بمشاعرها، عندما شعرت باصابعه تضغط على معصمها بطريقة آلمتها ودفعتها الى تنبيهه:

ـ نيكولاس... انت تؤلمني.

سمعت الفتاة صوت ديلا، فالتفتت. وحين وقع نظرها على نيكولاس حملقت في وجهه وكأنها ترى شبحاً. اما هو، فقد تراخت اصابعه بعد ابعاده ذكريات مؤلمة، احست بها ديلا تلاحقه، منذ وطئت قدماه ارض فينيسيا.

رحبت الفتاة بنيكولاس قائلة:

ـ سيدي الكونت... اهلاً بك... اهلاً وسهلاً.

تساءل نيكولاس:

ـ اهذا انت يا مارغريتا؟ صدق انجيلو عندما اكد لي ان السنين الماضية حولتك الى شابة جميلة.

حبست ديلا انفاسها وهي تراقب نيكولاس يقترب من جدته والفتاة، وجعلت تنتظر بفارغ الصبر لحظة اللقاء بعد هذا الغياب الطويل.

عندما وصل نيكولاس الى حيث جلست جدته، ركع عند قدميها، واحتضن يديها، قبل ان يدفن وجهه الأسمر في كفيها.

كانت هذه هي المرة الأولى التي ترى فيها ديلا الوجه الانساني لنيكولاس فرانكويلا، الذي عرفته ساخراً من الحياة، لاهياً



www.elromancia.com

بالمشاعر، متلاعباً بالأحاسيس.

شعرت ديلا بوجودها خارج اطار هذا اللقاء العائلي المضمخ بالعاطفة، فابتعدت، وراحت تشق طريقها عبر الغابة الصغيرة المحيطة بالبيت، حتى وصلت الى بناء صغير نام في حضن الغابة.

دخلت المكان خاشعة، وركعت تصلي، وتدعو الله ان يساعدها في الاستمرار على طريق الاخلاص لمارش، الذي وهبها ثقته، وانقذها من مصير مؤلم كان ينتظرها، بعد ان حرمها الحادث المشؤوم من والديها. لكن فكرة ارتباطها الأبدي به عذبتها، وحرمتها من السكينة والهدوء، لاحساسها المفاجيء بأن زواجها منه يعني استعبادها وسجنها بعيداً عن الحياة ومباهجها، لأنه رجل يحتاج الى المرأة كعنصر مكمل لحياته لا اكثر.

تنهدت، وغطت وجهها بيديها وهي تفكر بالأسباب التي تجذبها نحو نيكولاس فرانكويلا، المفتقر الى كل ما تتمناه في فتى احلامها، ومع ذلك يشرق في سماء حياتها، ويدفيء ايامها بوجوده.

افلتت منها في تلك اللحظة صرخة عذاب:

- يا الهي... ساعدني. لا يمكن ان يحدث هذا... لا يمكن ان اتركه يسيطر على حياتي وتفكيري بهذا الشكل.



اسرعت بالخروج من المكان، محاولة التخلص من افكارها وضياعها، لتفاجأ بنيكولاس فرانكويلا ينتظرها بين اشجار السرو القريبة.

تأملها ملياً وهو يدخن لفافة تبغ، ثم قال:

- آمل ان تكوني مستعدة لمقابلة جدتي، فهي متشوقة لمعرفتك.

اعادت الغطاء الذي كانت تضعه على رأسها الى حقيبتها وهي تقول:

- هل يمكن لأي انسان ان يعرف اخاه الانسان معرفة حقة؟ انا شخصياً لا اعتقد اننا نعرف حتى انفسنا حق المعرفة.

- ان ضباب الغموض الذي يلف النفس الانسانية ضروري لاستمرار العلاقات البشرية. الوضوح الزائد يبهر البصر وهو سلبي النتائج... انصحك يا ديلا بعدم التفكير بالتعمق في مجاهل اي انسان، والاكتفاء بما توحيه مظاهره.

- لم اعرف انك من المؤمنين بهذه الفلسفة... انت انسان عادي، برغم محاولاتك الظهور بمظهر الانسان الساخر، والغارق في الخطيئة.

- وانت... الا تحاولين الظهور بمظهر الملاك الذي يضحي بسعادته في سبيل اسعاد الآخرين؟

- كلامك غريب... ما الذي تحاول قوله؟



www.elromancia.com

خافت ديلا ان يكون نيكولاس على علم بخطوبتها لمارش، لكنها تذكرت ان الخطوبة لم تعلن بعد، فأراحتها الذكرى قليلاً. غير ان عينيها بقيتا تحثانه للاجابة على سؤالها.

قال نيكولاس بعد حين:

- وما الغريب في كلامي؟ كل ما فيك يوحي بانك قطعت على نفسك عهد الاخلاص والوفاء. وهذه العهود لا تقطعها المرأة على نفسها الا...

قاطعته:

- كفاك تدخلاً بخصوصياتي... لقد تجاوزت حدودك. تأكد يا سيدي انني لم ولن اكون يوماً اسماً تضيفه الى قائمة المعجبات برسامتك.

- ان معجبة رائعة الجمال مثلك، ستزين قائمتي يا حلوتي. آه... نسيت. لقد وعدتك بألا ازعجك بكلمات الغزل... هيا بنا لمقابلة جدتي.

- الا يؤلمك انك خيبت آمال جدتك فيك يا نيكولاس؟

- انها تحبني حباً حقيقياً، وأساس الحب الحقيقي هو التسامح والقدرة على الغفران. الا تعرفين ذلك يا آنستي؟

- لا استطيع اعتبارك مرجعاً موثوقاً في قضايا الحب الحقيقي، لكنني لا اشك بخبرتك في انواع الحب الأخرى.

ارعبتها نظرة تحد تراقصت في عينيه، وندمت على تسرعها في



الكلام، فحاولت الهرب من امامه، لكنه منعها من التقدم واجبرها على مواجهته، قبل ان يضمها الى صدره بعنف ضمة اهتز لها كيانها كله.

- ابتعد عني يا نيكولاس... ابتعد عني ارجوك.

ابقت ذراعاه على حصارها:

- كان في كلامك تحد، انا مستعد لمواجهته.

صرخت:

- دعني يا نيكولاس، دعني قبل ان يعذبك الندم.

ضحك بخبث:

- ولماذا الندم يا جميلتي؟ لا... لن اندم ابداً على ايام عشت كل لحظة من لحظاتها كما اشتهي.

حاولت ديلا تغيير الموضوع:

- ليس الوقت مناسباً لمثل هذا المزاح يا نيكولاس... دعني اذهب، فجدتك بانتظارنا.

- مم تخافين يا ديلا؟

تحاشت النظر اليه، وهي تفتش عن جواب، وتذكر ذوبانها الكامل بين ذراعيه. لكنها البست نظراتها قناع الجدية وهي تقول:

- ارى انك مصر على تحويلي الى اسم جديد في قائمة ضحاياك من النساء. هل كنت تحاول تحطيم كبريائي عندما



www.elromancia.com

ضممتني الى صدرك؟ لا استغرب هذا. . . اي امرأة آلمتك بشكل حاولت بعده الانتقام من النساء جميعاً؟

اغضب السؤال نيكولاس، واحست ديلا انها اضحت بين يديه فريسة لا حول لها ولا قوة. لكن ظهور مارغريتا المفاجيء انقذ الموقف. قالت الفتاة بصوت منخفض:

ـ اقلق غيابكما السيدة، وخافت ان ترحل بدون ان تودعها يا سيدي الكونت.

ـ اننا لا نفكر الآن بالرحيل، فاذهبي الى جدتي وطمئنيها يا مارغريتا. . . سنتبعك.

عادا الى الشرفة، فقال نيكولاس للمرأة الوحيدة التي تهمه في هذا العالم:

ـ وجدت صعوبة في ايجاد ضيفتنا يا جدتي، لذلك تأخرت في العودة اليك، فعذراً.

ثم تابع كلامه:

ـ آنسة نيف، اقدم لك جدتي السيدة ايسالينا مونيتورو لانزي. جدتي. . . اقدم لك الآنسة ديلا نيف، مغنية الأوبرا المشهورة، التي احبت زيارة فينيسيا والتعرف على آثارها.

صافحتها ديلا:

ـ تشرفت بمعرفتك يا سيدتي. . .

تأملتها السيدة لانزي:



ـ ان سروري بمعرفتك كبير يا آنسة. من الرائع ان يتقن الانسان اصول الغناء الاوبرالي. . . هل تحبين مهنتك؟

لامس السؤال جراحاً قديمة في قلب ديلا. كانت تعشق الموسيقى والغناء، وتفضل الغناء الأبسط والأقرب الى قلوب الناس. لكن مارش قادها الى عالم الغناء الأوبرالي دون ان يفكر برغباتها الخاصة. ويبدو ان السيدة العجوز صاحبة بصيرة نافذة ساعدتها في الاحساس بما يعتمل في نفس ديلا.

فرحت ديلا بوجود انسانة تشعر بمشاعرها، وتحس بأحاسيسها، فأضاءت وجهها ابتسامة زادتها جمالاً. طلبت الجدة من نيكولاس احضار مقاعد من غرفة الضيوف، وقالت له:

ـ اطلب من مارغريتا ان تحضر لنا بعض المرطبات ايضاً. . . اتعرف انها ما زالت تخجل منك؟ اما زلت تجتذب الفتيات، وتبعدهن عنك بنفس القوة يا عزيزي؟ على كل حال، مارغريتا تصلح ان تكون زوجة لأنجيلو فالطيبون للطيبات دائماً. . .

قاطعها نيكولاس:

ـ وانا لست طيباً مثل انجيلو، أليس كذلك؟ ستوافق الآنسة نيف على رأيك بدون تحفظ.

قال نيكولاس ما يريده، ودخل لتنفيذ اوامر جدته، تاركاً اياها مع ديلا. ساد الصمت بين المرأتين حتى سألت



www.elromancia.com

الجدة ديلا:

- ما رأيك بنيكولاس يا آنسة نيف؟

- لا استطيع ابداء الرأي فيه، لأنني لا اعرفه كفاية يا سيدتي... التقينا على ظهر السفينة، وعرض علي مشكوراً زيارة فينيسيا برفقته فقبلت.

- لماذا قال نيكولاس ما قاله اذن، اذا كان الأمر بهذه البساطة؟

اعترفت ديلا:

- لا انكر ان نيكولاس انسان جذاب، ولطيف للغاية. لكن لدي شعوراً غريباً بأنه انسان وحيد، رغم كل ما يتمتع به من صفات.

احرجتها السيدة:

- لماذا تهربت من ابداء رأيك بنيكولاس في البداية؟ نعم... لدى نيكولاس صفات تمكنه من اجتذاب الصالح والطالح من بني البشر.

مرت لحظات سكتت فيها السيدة، ثم اردفت قائلة:

- يفتقد الرجل اللاتيني الثبات الذي يتحلى به الرجل الانكليزي، لذلك تجد فتاة انكليزية مثلك صعوبة في التعامل مع رجل مثل نيكولاس. الا تجدين كلامي صحيحاً يا آنسة



نيف؟

- انت تبالغين بعض الشيء يا سيدتي.

رفضت ديلا الاعتراف بصحة كلام السيدة، رغم احساسها بخطر وجود نيكولاس في حياتها، فهو الرجل الوحيد الذي اشعرها بأنها كتلة نابضة من المشاعر والأحاسيس. سمعت السيدة تقول:

- تستطيع المرأة ان تفقد الرجل الايطالي صوابه، لأنه رجل عاطفي... اتعرفين ان امرأة تسببت في آلام نيكولاس يا عزيزتي؟

حملقت فيها ديلا، فانحنت السيدة وهمست:

- دعيني اخبرك بقصة الم نيكولاس الغالي، وسأترك لك الحكم بعد ذلك... كان نيكولاس متزوجاً في الماضي من فتاة ذات اصول عريقة، اختارها له ابوه. بعد مضي عام من ارتباطه بالفتاة، صار اباً لطفلة حلوة اسماها تريني. مرت الأيام، واصبحت تريني قرة عين نيكولاس، والأمل الذي يحيا من اجله. كانت زوجته ليزا تشكو من نوبات عصبية، ففكر بأن يأتي بها الى فينيسيا، لعل نقاء هوائها وروعة مناظرها تساعدها في تهدئة اعصابها. لم يكن قد مضى على وجود الثلاثة اكثر من يومين، حين سمع نيكولاس في عصر احد الأيام، صراخ طفلته. فأسرع ليتفقد احوالها. فوجدها تتخبط في مياه

القنال، وغرقت المسكينة قبل ان يستطيع الوصول اليها. كانت امها قد رمتها من نافذة غرفتها اثر نوبة عصبية لم نعرف سببها. وضعت ليزا بعد الحادث في مصح للأمراض العقلية، وبقي نيكولاس يعودها حتى توفيت، فترك فينيسيا بعد وفاتها، وسافر بعيداً، هرباً من ذكريات مأساته، وبقي هارباً حتى اليوم.

انتهت السيدة العجوز من سرد القصة، وبقيت ديلا فترة من الزمن غير قادرة على الكلام. لكن افكارها دارت في فلك نيكولاس فرانكويلا، وقلبه المفجوع على طفلته الحبيبة، التي اختطفتها يد القدر برعماً صغيراً واعداً.

رجتها السيدة بعد قليل:

ـ لا تخبري نيكولاس بما رويته لك عن مأساته... ارجوك. اما لماذا اخبرتك بجذور اله، فذلك لأنني احسست باختلافك عن غيرك من النساء اللواتي دخلن حياته في السنين الماضية. هل تغير رأيك به بعد ما عرفته عنه؟ اتمنى ذلك... لو ان القدر امهل ابنته، لكانت اليوم فتاة حلوة في الثالثة عشرة من عمرها. كانت تشبه اباها كثيراً... رحمها الله واسكنها فسيح جناته.

انفطر قلب ديلا حزناً، امتلأت عيناها بالدموع، لكنها اخفت دموعها عندما سمعت خطوات نيكولاس تقترب، ومعه



مارغريتا تحمل المرطبات.

جلس بالقرب منها، فحاولت اخفاء اضطرابها، لكن نيكولاس لاحظ توترها وقال لها:

ـ تناسي ما يزعجك يا آنسة نيف، ولنشارك جدتي الحنون في شرب المرطبات... ما رأيك يا جدتي بضيفتنا العزيزة؟

ـ انها والحق يقال فتاة جميلة، وجذابة، وعاقلة يا ابني... مارغريتا... نادي على انجيلو، ليأتي ويشاركنا شرب المرطبات، من فضلك.

خاطبت مارغريتا نيكولاس قبل انصرافها:

ـ سيأتي انجيلو رغم انشغاله لمشاركتنا الشراب.

سألت الجدة حفيدها بعد ذهاب الفتاة:

ـ اليس انجيلو محظوظاً بمارغريتا زوجة له، واماً لأولاده في المستقبل؟

ـ انه يستحق الخير كله يا جدتي. لماذا لا تجلسين يا آنسة نيف؟ ما اروع هذا النهار. سماء صافية... شمس دافئة... عصافير تتراقص بين الأغصان... وجدتي الحبيبة بصحة جيدة ولله الحمد. كثيراً ما فكرت فيك يا جدتي تجلسين في ظل اشجار الليمون تستنشقين عطر زهر المانوليا، وتستمتعين بدفء الشمس. حنين الانسان الى ارضه واهله يقوى في ديار

الغربة...

سألته جدته:

- لماذا لا تعود الينا اذن يا نيكولاس؟ لماذا لا تعود ايها الغالي وتستقر في توسكاني مسقط رأسك؟ لن تعطيك اقامتك في امريكا الا بريقاً وهاجاً في عالم النساء يا ابني.

احتضن نيكولاس يدها وقال:

- ليست النساء فقط شغلي الشاغل هناك... صدقيني يا جدتي.

- يصعب علي تصديقك يا ابني، وخاصة بعد ما قرأته عن قرب اعلان خطوبتك لثرية امريكية.

- وهل تعتقدين ان الخبر صحيح يا عزيزتي؟

- لا اعرف... لا اعرف يا ابني. لكنني متأكدة من خبثك، واستغرب ان تقبل آنسة رقيقة مثل ديلا مرافقتك ولو ليوم واحد.

- حذار يا جدتي، فقد يربك كلامك الآنسة المصون، ولا تخافي عليها، فهي لا تؤمن باضاعة اوقاتها الثمينة في اشياء تافهة، أليس كذلك يا آنسة؟

اجابته ديلا بثقة:

- ان نجاح الانسان في خطواته على درب الحياة، يتطلب منه التفرغ بعمله، وبذل الجهود في مضماره. وقد قمت بهذه



الرحلة لأريح حبالي الصوتية.

تساءلت السيدة العجوز:

- هل يعني هذا انك لن تغني لنا يا آنسة؟ انني احب الموسيقى والغناء، وكنت اعزف قديماً على البيانو...

تدخل نيكولاس:

- كانت جدتي عازفة بيانو مشهورة، لكن زواجها من جدي اوقف مسيرتها الفنية، وافخر بأن اقول انها التي نمت فيّ الاحساس بالموسيقى، وعلمتني اصول التأليف الموسيقي. اما انجيلو، فيملك حنجرة ذهبية تذكرك بالمغني الايطالي الراحل كاروسو.

انسجمت ديلا مع الحديث:

- اعرف الفنان الراحل، واحب اغانيه بنوعيها الأوبرالي والعادي.

- معنى هذا انك تتقنين النوعين... احس ان الغناء الأوبرالي ثقيل على بعض الأسماع، ام تراني ابالغ فيما اقول؟

- لا ... كلامك صحيح. لكنني استغرب اهتمامك بالأوبرا.

- تذكري انني ايطالي، يعني اعشق سماع الموسيقى. ان الحياة الصاخبة التي احياها لم تؤثر على شفافيتي تجاه

الموسيقى.

ـ لا اعرف لماذا تصورتك عكس ذلك تماماً. على كل حال، تأكد يا سيدي انني استمتع بالغناء للذين يخوضون الصعاب لحضور حفلاتي، اكثر من استمتاعي بالغناء للذين يحضرون الحفلات للتفاخر امام الناس.

ابتسم نيكولاس قائلاً:

ـ ما احلى اعترافك يا آنسة... احس بقلب طفلة صغيرة ينبض في داخلك، وحرام على اي انسان ان يسجنك داخل اطار سيدة ناضجة، حتى وانت على خشبة المسرح. آه... اهلاً بك يا انجيلو. يؤسفنا ان ننتزعك من محيطك العملي... لكننا احببنا مشاركتك لنا في جلستنا الهادئة.

ـ يسرني ذلك يا ابن عمي... فقد اشتقنا لوجودك بيننا.

طلبت السيدة العجوز من انجيلو ان يصب المرطبات في الكؤوس قائلة:

ـ انت ثابت اليد والجنان، فاسكب لنا المرطبات من فضلك.

رد انجيلو:

ـ اشكرك على كلامك اللطيف يا جدتي.

لاحظت ديلا ان مارغريتا تتأمل نيكولاس من بعيد، وكأنه



سراب سيختفي اذا اقتربت منه وانتابها شعور غريب بأن انجيلو ليس فرحاً بزيارة ابن عمه كما يدعي. ولم تفهم سبباً لهذا، اللهم الا غيرة انجيلو من نيكولاس، لأنه انسان تفتحت امامه دروب العالم، بينما بقي هو يتحرك ضمن محيط ضيق بسيط.

قالت السيدة العجوز فجأة:

ـ اسمحوا لي ان احيي كل واحد منكم على حدة، وتذكروا انني سيدة عجوز عركتها التجارب. ابدأ بك يا انجيلو فأقول: حماك الله يا حفيدي العزيز، واسعدك حاضراً ومستقبلاً، ومعك خطيبتك وزوجة المستقبل مارغريتا، لأنك والحق يقال، انسان يستحق الخير كله، كما قال ابن عمك نيكولاس قبل قليل... اما انت يا آنسة ديلا نيف، فأتمنى من الله ان يرعى خطاك دوماً، واوصيك بان تغني نوع الموسيقى الذي تحبين، حتى لا تعرفي مرارة الفشل يوماً. هل فهمت قصدي يا عزيزتي؟

اكدت لها ديلا:

ـ نعم يا سيدتي... نعم.

ـ عظيم... والآن دعوني اتأمل حفيدي الغائب، الذي عاد الي بعد طول انتظار. اهلاً وسهلاً... اهلاً وسهلاً بعودتك يا بني، الى اهلك وبيتك.



www.elromancia.com

بعد انتهاء الجميع من شرب المرطبات، عاد انجيلو الى عمله، وودع نيكولاس جدته، وبدأ مع ديلا جولة استطلاعية في فينيسيا.





٦ - كيف تلومه على تنقلاته السريعة بين القلوب وهي تعرف ان الحب مات في قلبه، ورغبته قتلها ارتباط قديم فاشل بامرأة غريبة الأطوار؟



www.elromancia.com
مـــرجـــوريـــة

امضت ديلا ساعات النهار مع نيكولاس، يتنقلان بين اثار فينيسيا، يستنشقان عبير التاريخ، ويراقبان بصماته الواضحة في انحاء المدينة الصغيرة الهادئة. كان نيكولاس اثناء الجولة مثالاً للباقة، يشرح لديلا كل ما يعرفه عن ماضي المدينة العريق، مما اسعدها، وازال بعضاً من تحفظها تجاهه. تناولا وجبة غداء شهية في احدى المقاهي الصغيرة المطلة على القناة. أنسى جمال المكان نيكولاس ذكرياته الأليمة، فراح يضحك ويتكلم بكل ارتياح. قال لديلا:

ـ ان المحلق فوق فينيسيا، يراها على شكل قلب كبير تحنو



عليه السماء، وتداعبه امواج البحر.

استمرت ديلا في سيرها دون اي تعليق على ملاحظة نيكولاس، واشترت فستاناً حريرياً من احد الباعة. فأشعرها دفع ثمنه من مالها الخاص، بحريتها واستقلالها.

فكرت بمارش، فسألت نيكولاس:

ـ ترى اين تباع اقداح فينيسيا الرقيقة المشهورة؟ اريد ان ابتاع عدداً منها... للأصدقاء.

ـ هناك محل لبيع التحف قريباً من هنا، تعالي معي اليه.

قضيا في المحل بعض الوقت ينتقيان الهدايا، واختارت لمارش قدحاً شفافاً رقيقاً، متقن الصنع.

كانا يستعدان للخروج، عندما ابتاع نيكولاس سواراً ذهبياً رائع النقوش، رماه في جيبه دون ان يقول شيئاً، فتجاهلت ديلا الموضوع لاحساسها بأنه هدية لامرأة يعرفها، ولا يريد التكلم عنها.

تسابقت ساعات النهار سريعة، وامضى الاثنان بعضها في حديث عن الحب. ذكرتهما فينيسيا بحب عطيل لديدمونة وغيرته التي قتلتها.

قالت ديلا بعد لحظات تأمل عميقة:

ـ لكل مكان في ايطاليا جماله الخاص، لكن هنا في فينيسيا تكمن روح الجمال كله.

راقبت ديلا مع نيكولاس لحظات الغروب من نافذة برج قديم. اصطبغ الأفق بدماء الشمس قبل ان ينحدر قرصها نحو البحر يعانقه، معلناً نهاية يوم جديد من أيام العمر. وشيئاً فشيئاً بدأ الليل يبسط اجنحته السوداء في السماء، ويجثم ثقيلاً على صدر الأرض.

قال نيكولاس:

- حان وقت عودتنا الى السفينة... هيا بنا.

احتوى يدها بحنان، وانزلها الى مركب قديم، ابحر بهما ببطء نحو السفينة. قال نيكولاس:

- افضل ان نودع فينيسيا على مهل...

اضاءت ابتسامة محياها، واسترخت في مقعدها ترقب الليل يستولي على فينيسيا، وانوار البيوت على الشاطيء تنعكس على صفحة المياه. وفجأة بدأ صاحب المركب يغني بصوت حلو النبرات، اغنية ايطالية تعرفها ديلا، يقول مطلعها:

- جميلتي... يا جميلة..

تزوجي.. يا جميلة..

فالزواج ليس الا اياماً جميلة..

اكدت كلمات الأغنية لديلا ان صاحب المركب تصور انها ونيكولاس حبيبان مقدمان على الزواج. فخجلت وتحاشت النظر الى الرجل الوسيم الجالس بقربها.



عندما وصلا الى ظهر السفينة، اخرج نيكولاس السوار من جيبه وزين به معصمها قائلاً:

- ارجو ان تقبلي هذا السوار مني هدية...

اربكها تصرفه وكلامه، فحاولت الاحتجاج:

- نيكولاس.. أ..

قاطعها بلطف قائلاً:

- كلما زينت به معصمك تذكري فينيسيا.

عادت الى غرفتها، وبقيت ساعة تفكر بعدم الذهاب الى المطعم لتناول العشاء، لأنها لا تريد الاجتماع بنيكولاس، الذي ترك في نفسها اعمق الأثر، بعد ساعات لا تنسى قضتها معه في فينيسيا... خفق قلبها وهي تتذكر دقائق الزيارة، ربما عرفته اثناءها عن مأساته، فلم تلمه على تنقلاته السريعة بين النساء، لأن الحب مات في قلبه بعد موت ابنته، ورغبته بأي ارتباط كان قتلها ارتباط قديم فاشل بامرأة غريبة الأطوار.

هربت ديلا من افكارها صارخة:

- يا الهي... نيكولاس... التفكير بك يعذب قلبي، ويسيطر على عقلي. كيف احتمل رؤيتك الليلة مع كاميلا، بعد ان قضيت بصحبتك يوماً لن انساه ما حييت؟ لا... لا... سأذهب للعشاء. انتقت فستاناً ازرق بلون البحر، مكشوف الظهر، انيقاً. وعادت بها الذكريات الى اليوم الذي



www.elromancia.com

لبسته فيه اول مرة. نهضت يومها لترقص مع مارش في احد مطاعم لندن الفخمة، واحست من نظراته انه لا يحبذ ارتداءها لمثل هذه الفساتين. لكنها كانت متأكدة ان الفستان سيعجب نيكولاس.

ارتدت الفستان، واكملت زينتها قبل ان تلقي على نفسها نظرة أخيرة، وتخرج متجهة الى المطعم.

كانت خفقات قلبها تعلو وتتزايد كلما اقتربت من المكان، لكن التقاءها بجو هارتلي صدفة امام الباب جعلها تتنفس الصعداء.

حياها جو:

- تبدين رائعة هذا المساء، يا ابنتي.

- اشكرك يا جو. . . انت ايضاً تبدو في غاية الوسامة.

تأبطت ذراعه، ودخلت قاعة الطعام، محاولة عدم النظر الى مائدة نيكولاس، لايمانها بوجود خيط رفيع بين الاعجاب والحب، لا تريد تجاوزه. اجلسها جو في مكانها، وبدأ الجميع يتكلمون عن زيارتهم لفينيسيا. فحاولت ديلا مشاركتهم الحديث، حتى قالت لها العروس ببراءة:

- لا بد انك قضيت امتع الأوقات اليوم بصحبة السيد هارتلي يا آنسة نيف.

- لم اكن. .



فجأة تناهت اليها ضحكات كاميلا، وضغط جو هارتلي على ذراعها، فأسرعت الى القول:

- نعم. . قضيت امتع الأوقات بصحبته ولله الحمد.

اولت ظهرها لنيكولاس طوال فترة العشاء، وعندما سيطر جو المرح والرقص والغناء على القاعة، احست ديلا بحاجتها للوحدة والهواء النقي، فتركت المكان وصعدت الى سطح السفينة لعل ظلمة الليل تحميها من سعير افكارها، واحاسيسها.

اراحتها الوحدة، وانستها النجوم المتناثرة في السماء همومها، حتى سمعت وقع خطوات قادمة من بعيد. تمنت ان يكون جو هارتلي هو القادم، لكن امانيها لم تتحقق، وتمخضت الظلمة عن نيكولاس بكل كبريائه واعتداده بنفسه.

لامس كتفيها بأصابعه، فارتعشت:

- كفى. . . كفى. . اريد ان ابقى وحدي من فضلك.

- يسعدني ان اشاركك احلامك في هذا الجو الشاعري.

- دعني وحدي يا نيكولاس. . . ارجوك ان تدعني وحدي. . . انني بانتظار جو.

- آه. . . نسيت. . . يشعرك جو بالطمأنينة التي يحرمك وجودي منها. على فكرة. . . استغربت تجاهلك وجودي طوال فترة العشاء، وخاصة بعد ساعات حلوة قضيناها معاً. . هل

تجدين جو جذاباً الى هذا الحد؟

- اعتقد انني اوضحت لك امس علاقتي بجو هارتلي من قبل، ولا اجد داعياً لتكرار ذلك. اما الساعات الحلوة التي تتكلم عنها، فلا تكفي لألاحقك بنظراتي، واراقب تحركاتك، الا توافقني على ذلك؟ صارحني .. هل استمتعت السيدة كاميلا بحديثك عن اوقات مسلية قضيتها مع فتاة انكليزية في مدينة الأحلام؟

- وهل اسعدت اصدقاءك بالحديث عن الايطالي الذي فتح امامك ابواب فينيسيا على مصراعيها؟

- ما هذا الكلام السخيف يا نيكولاس؟

- اردت الرد على اتهاماتك فقط يا عزيزتي... ما زال السوار يزين معصمك .. يظهر ان بنات حواء متشابهات، ومبدأهن في التراخي مرة، والتشدد مرات، مبدأ متعارف عليه بينهن، ما دام آدم موجوداً على ظهر البسيطة.

هزها كلامه:

- اذا كنت تؤمن حقاً بما تقول، فاعط السوار للسيدة كاميلا، الخبيرة بالأساليب التي تتكلم عنها.

صرخ غاضباً:

- لا ... يا آنستي... لا .. سأبقيه لك، وافعلي به ما تشائين... لماذا لا ترمينه في البحر؟ ان امواج البحر لا ترد ما



تبتلعه... لا ترده ابداً.

اعاد اليها كلامه ذكرى مأساته مع ابنته، فندمت على اندفاعها، وبقيت وحدها في الظلام تكفكف دموعها بعد انصرافه.

عادت بعد ذلك الى غرفتها لتنام، آملة بيوم جديد دعت الى الله ان يكون سعيداً...

فكرت ديلا في صباح اليوم الثاني بأن تبدأ نهارها بالسباحة في بركة السفينة.

جهزت نفسها للذهاب الى البركة، وسبحت وحدها، الى ان لمحت نيكولاس قادماً. حيته:

- اسعد الله صباحك يا نيكولاس... ما احلى السباحة باكراً. ما رأيك بمشاركتي متعتي؟

- راقبتك تسبحين، واعجبت بطريقتك في السباحة.

- اذا كنت تنوي دخول سباق معي، فهيا.

قفز نيكولاس الى الماء لاحقاً بها، ثم سبقها وامسك بكتفيها. حاولت التخلص من قبضته، لكنه كان اقوى منها، وضمها الى صدره دقائق، نسيت خلالها نفسها والعالم من حولها. همس في اذنها:

- كوني عادلة... كوني عادلة يا عزيزتي، واعطي بقدر ما تأخذين.

استغربت ديلا كلام نيكولاس عن الأخذ والعطاء، هو الذي اعتاد الأخذ فقط.

تراخت ذراعاه قليلاً، فأفلتت ديلا، وسبحت الى طرف البركة الآخر، وقلبها يخفق بجنون. لحق بها نيكولاس متسائلاً:

ـ هل تقبلين مشاركتي طعام الفطور، اذا وعدتك بتحسين تصرفاتي؟

ـ لا اعرف يا نيكولاس... انني لا اثق بوعودك. اريد ان نبقى اصدقاء، لكن تصرفاتك تحيلنا الى اعداء.

ـ ولماذا نتحول الى اعداء؟ كل ما في الأمر اننا مختلفان في الطبائع يا عزيزتي، وهذا من ايجابيات علاقتنا، لأنه يمنع الملل من التسرب الى حياتنا.

ـ ان ايماني يكمن في بقائك وحيداً يا نيكولاس.

ـ اهذا ما تريدينه حقاً يا ديلا؟ اتريدينني ان ابقى وحيداً؟ اتريدينني ان اختفي من افق حياتك؟

استعصى عليها الرد دقائق، ثم قالت:

ـ بقدر ما اكره الامتثال لرغباتك واوامرك، بقدر ما احب تناول الفطور على سطح السفينة. هل بامكانك تدبير من يقبل بنقل الفطور الى هناك؟

ـ العقل للتفكير والله للتدبير يا ديلا.



ـ صدقت.. سأستحم، وابدل ثيابي، ثم الحق بك الى السطح. اطلب لي بيضاً مقلياً من فضلك.

ـ لك ما شئت يا آنستي.. الى لقاء قريب.

لاحقتها عينا نيكولاس وهي ماضية الى غرفتها، فأربكها ذلك واسعدها على حد سواء.

طوقت ديلا اصبعها بخاتم خطوبتها لمارش، ثم لحقت بنيكولاس بعد ان ارتدت فستاناً اصفر امتزجت فيه البساطة بالأناقة. كان نيكولاس بانتظارها، وقال عندما رآها:

ـ ما احلاك زهرة فواحة هذا الصباح.

جلست ديلا الى جانبه، تاركة الماس في خاتمها يلمع تحت ضوء الشمس. لاحظ نيكولاس وجود الخاتم، فتحسسه قبل ان يقول:

ـ ما اروع هذا الخاتم، لم اره في اصبعك من قبل. هل لظهوره الآن اية معان خفية؟

اخجلها كلامه، فقالت:

ـ كنت اخشى وضعه في اصبعي حتى لا افقده اثناء اللعب او السباحة.

ـ لكننا لم نشارك في الألعاب، ولم نسبح الا هذا الصباح.

ـ لكل منا اسراره يا نيكولاس.

- وقد اخترت اليوم لاطلاعي على سرك، أليس كذلك؟ ترى لماذا؟ ألأني اشعرتك قبل قليل بفيضان مشاعرك واحاسيسك؟

لمح الدموع في عينيها وهي تقول:

- كف عن هذا الكلام اذا كنت تريد الحفاظ على صداقتنا.

- ارجوك السيطرة على اعصابك، فالنادل قادم الينا بالفطور، واخاف اذا رأى دموعك ان يظن بنا الظنون.

- لم اعد اهتم بما قد يظنه الناس بي.. اسمعني.. هناك اشياء يجب ان تعرفها.. لقد انقذني خطيبي يوماً من حادث فظيع، حرمني من والدي، وعلمني كل ما اعرف. وقد خطبني قبل الرحلة، لكنني فضلت الاحساس بحريتي واستقلالي للمرة الأخيرة. فأخفيت الخاتم بعد صعودي الى السفينة.

- يبدو خطيبك هذا غنياً، هل هو معروف؟ اتراه شخصية هامة؟ هل فارق السن بينكما كبير؟

- ليس الى هذا الحد الذي تتصوره، لكنه ثري ومعروف.. كان لي الأب والأم بعد الحادث.

- وانت بقبولك خطوبته، تريدين رد بعض من جميله، أليس كذلك؟

- لا.. لا ابداً. انني احب مارش، ولا استطيع تصور



حياتي بدونه.

- هل تقصدين مارش غراهام؟ هل ستتزوجين مارش غراهام يا ديلا؟

استغربت ديلا معرفة نيكولاس بمارش، لكنها اجابته:

- نعم.. نعم.. يظهر انك تعرفه يا نيكولاس.

- ومن لا يعرف واحداً من اغنى رجال الأعمال في انكلترا؟

كانا ينويان الاستمرار في الحديث، لولا سماعهما صراخ الأطفال وبكاءهم الهستيري.

نهض نيكولاس، واندفع كالمجنون نحو مصدر الصوت، وتبعته ديلا. وصلا الى البركة ليجدا هوني الصغيرة تتخبط في مياهها. رمى نيكولاس نفسه لانقاذ المسكينة التي كانت لا تزال تحاول التمسك بحبال الحياة.

وصل اليها قبل فوات الأوان. تعلقت الصغيرة به، فأخرجها من البركة، وقام باسعافها وهو يصرخ بالفتاة المسؤولة عن مراقبتها:

- اين كنت؟ اين كنت ايتها الغبية؟ لماذا تركت الطفلة وحدها؟ تستحقين العقاب.. والله تستحقين اشد العقاب. صنف النساء اناني.. لا يفكر الا بنفسه. يا رب..

يا رب..

كانت الفتاة تبكي جزعاً وهي تقول:

ـ حدث كل شيء بسرعة. صدقني يا سيدي.. صدقني.

وقفت ديلا تراقب نيكولاس يعيش من جديد لحظات ألم مضن، مرت به قبل سنوات. اشفقت عليه من الله، لكنها لم تدر ما الذي باستطاعتها فعله.

جذب طفل طرف ثوبها قائلاً:

ـ آنسة ... آنسة.. كانت هوني تلعب بالكرة على حافة البركة عندما تزحلقت، وهوت.. حدث كل شيء بسرعة.

سمعت ديلا ما قاله الطفل، ثم اقتربت من نيكولاس، ولامست كتفه بحنان محاولة تهدئته بقولها:

ـ تحدث الحوادث بسرعة يا نيكولاس، خفف عنك. ان الانسان العوبة في يد القدر.. وتأكد انه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا.

استعادت هوني وعيها بعد لحظات، فحملها نيكولاس بين ذراعيه، وتركها تدفن رأسها الصغير في صدره وهو يقول:

ـ حمداً لله على سلامتك يا صغيرتي.. حمداً لله على



السلامة.

احست ديلا في تلك اللحظة انها تقف، ولأول مرة امام نيكولاس فرانكويلا الرجل، الانسان...



www.elromancia.com

٧ - صدمها، عذبها عندما فاجأها بالقول انهما سيفترقان غداً. . . الى الأبد. هل ستبقى وحدها منذ الآن، وحيدة مع انين قلبها الضائع؟

لم تر ديلا نيكولاس بعد الحادث، وحين وصلتها دعوة للعشاء على مائدة قبطان السفينة، قررت تلبيتها، وانتقاء ما يتناسب مع المناسبة الرسمية. فرحت ديلا بالدعوة، لأنها ستساعدها على راحة اعصابها التي بقيت متوترة طوال النهار، وبخاصة عندما لم يظهر نيكولاس على الغداء. اطمأنت على هوني من طبيب السفينة فقد اكد لها بأن ساعة نوم مريحة ستنسيها ما حدث. ثم اضاف ان تعلم السباحة ضروري للأطفال وواجب على الأهل...

قالت له ديلا:



ـ تخاف هوني الماء يا دكتور، والغريب اننا نتعثر بما يخيفنا دائماً.

ـ تلك هي الحياة يا آنسة، والعثرات التي تتكلمين عنها مجرد عقبات صغيرة تعترض مسيرتنا في دروبها... سمعت انك رأيت الحادث، واصفرار وجهك يدفعني الى نصحك بالاخلاد للراحة.

ـ انني على ما يرام يا دكتور، ومعرفتي ان هوني بخير تسعدني، وتزيح عن قلبي عبئاً ثقيلاً... استأذنك بالرحيل..

ـ كان الله معك يا آنسة.

ومضى كل منهما في طريقه. اشترت ديلا لهوني علبة حلوى، ولعبة للتسلية، قبل ان تتوجه الى غرفة الاستراحة، حيث حاولت ان تتناسى نفسها بين اناس كانوا يحاولون قتل الوقت بالقراءة، او الاسترخاء على انغام الموسيقى الناعمة. حاولت ديلا قراءة احدى القصص المسلية التي اعطاها اياها مارش، لكن افكارها حامت حول الزهرة الأرجوانية الشاحبة الوحيدة، التي حلت محل ازهار مارش البيضاء الذابلة في غرفتها. علمت ان نيكولاس ارسلها، واستغربت اختياره لزهرة ارجوانية اللون، وحيدة. عادت بها الذكريات الى اللحظات التي كانت فيها بين ذراعي نيكولاس وكيف شعرت بالأمان والطمأنينة. لكن صورة مارش لم تفارق مخيلتها، واعادت اليها الرغبة

بالاخلاص للرجل الذي انتشلها الى بر الأمان، بعدما كادت تغرق في خضم الحياة.

حين عادت الى غرفتها، اختارت للأمسية فستاناً مخملياً زمردي اللون، رائع التصميم، واحاطت جيدها بعقد يناسبه، قبل ان تكمل زينتها وتخرج متجهة الى مكان الاحتفال. حذرت نفسها من اسمر وسيم، ذي عينين سوداوين، قد تلتقيه على مائدة العشاء بعد ان شغلها التفكير به طوال النهار.

كان مارش يختلف عن نيكولاس في كل شيء، فهو معروف بين اصدقائه بجموده وصلابته. وكانت ديلا وحدها تعرف انه انسان معطاء، وحنون، لكنها لم تتوقع ان تصبح زوجته في يوم من الأيام.

دخلت القاعة الزرقاء حيث يقيم القبطان حفلاً، ولفتت انظار الموجودين بجمالها واناقتها.

استقبلها القبطان بكل ترحاب:

ـ اهلاً بك يا آنسة نيف، واشكرك على تلبية دعوتي. اسمحي لي ان اقول بانك رائعة الجمال هذا المساء.

قالت له وهو يرافقها الى مكانها:

ـ اشكرك على هذه المجاملة اللطيفة يا حضرة القبطان.

ـ معاذ الله ان تكون مجرد مجاملة يا آنسة... انها الواقع بعينه. ارجو ان تسعدينا بسماع بعض من اغانيك.



ـ في الحقيقة.. لا اعرف اذا كان باستطاعتي الغناء.

سألها القبطان بعد رؤيته للخاتم الماسي يلمع في اصبعها:

ـ ترى من هو الرجل المحظوظ؟

ـ ابتسمت مجيبة:

ـ ولماذا لا تقول انني المحظوظة يا سيدي؟ اذا كان بين الحاضرين من يستطيع العزف على البيانو فسأغني للموجودين.

واجه القبطان المدعوين قائلاً:

ـ سيداتي وسادتي، هل بينكم من يستطيع العزف على البيانو؟ لقد وافقت الآنسة ديلا نيف على الغناء لنا اذا رافقها من يجيد العزف عليه.

سمعت ديلا صوتاً تعرفه جيداً يقول:

ـ تسرني مرافقة الآنسة على البيانو يا حضرة القبطان. لست عازفاً عظيماً بالطبع، لكنني ارجو ان اكون عند حسن ظنها وظنكم.

حاولت ديلا رفض نيكولاس كعازف يرافقها اثناء الغناء، لكن القبطان سبقها ورحب به ومعه كاميلا.

اقترب نيكولاس من مكان وقوف ديلا، فتهربت من نظراته بقولها:

ـ اسمحوا لي ان اشرب بعض المرطبات قبل البدء بالغناء.



www.elromancia.com

امر القبطان ستيف رينغديل بقوله:

- اذهب واحضر للآنسة ما تريده يا ستيف.

- امرك يا سيدي.

اسرع ستيف لاحضار ما طلبته ديلا، فقال نيكولاس للقبطان:

- ينذر الطقس بعاصفة قريبة. آمل ان تكون الأجواء افضل في الغد... لانني انوي زيارة مدينة نابولي غداً ان شاء الله.

انضمت كاميلا الى الثنائي، ومازحت نيكولاس بقولها:

- انتوي تطبيق القول المشهور: شاهد نابولي ثم مت، يا عزيزي؟

اجابها نيكولاس:

- من يدري يا كاميلا؟ من يدري؟ ان للاقدار الاعيب لا نفهمها في كثير من الأحيان.

قال القبطان:

- استغرب سماعك تتكلم عن الأقدار... تصورتك انساناً يؤمن بقدرته على تسيير مركب حياته بدون الاستسلام للظروف، او الخضوع للمصاعب.

تدخلت كاميلا مرة اخرى:

- يجمع نيكولاس بين الصلابة والانسانية يا حضرة القبطان. لقد انقذ ابنتي اليوم من الغرق.



قال القبطان:

- حققت بالحادث، واعتقد ان توبيخك للفتاة يا سيدي الكونت سيردها الى صوابها، ويدفعها للاهتمام بعملها اكثر في المستقبل.

سألت ديلا كاميلا:

- كيف حال هوني؟ ارجو ان تكون قد تغلبت على مخاوفها من الحادث.

- انها على احسن حال يا آنسة نيف. يستطيع الأطفال تناسي المزعجات بسرعة، لكن هذه القدرة تتضاءل بمرور الأيام. اعتقد انك ستفهمين ما اعنيه عندما تتزوجين وتصبحين اماً.

قال القبطان:

- كنت قبل قليل اهنىء الآنسة نيف بخطوبتها.

نظرت كاميلا الى اصابع ديلا قبل ان تسألها:

- هل انت مخطوبة حقاً؟ هل سعيد الحظ رجل اعرفه؟ هل تمت الخطوبة على ظهر السفينة؟

اجابت ديلا بهدوء:

- لا اعتقد انك تعرفين خطيبي يا سيدة كاميلا، فهو ليس بين المسافرين.. اشكرك على شراب التفاح اللذيذ يا حضرة القبطان. اتراك تريد سماع اغنية معينة؟ يحق لك طلب اية اغنية تريد، فأنت قبطان هذه السفينة، والمشرف على رحلتنا



www.elromancia.com

الرائعة.

- اشكرك على لطفك يا آنسة... واصارحك بأنني افضل اغاني من مسرحياتك الغنائية.

- لك ما شئت يا حضرة القبطان.

تقدم نيكولاس بكل كبرياء نحو البيانو، وجلس على الكرسي الصغير، وراح يجهز نفسه للعزف. خاطبته ديلا:

- لا بد انك سمعت بمسرحية «حبيبي، جيوفاني»، التي مثلتها قبل عام... اريد ان اغني منها مقطوعة «انت لا تهمني»، اذا كنت تعرف موسيقى الأغنية.

ارتسمت على ثغره ابتسامة خبيثة، وقال:

- ولماذا اخترت الأغنية التي تصارح فيها البطلة حبيبها بعدم اهتمامها به؟ انا شخصياً افضل اغنية «احبك»، التي اشتهرت بعد عرض المسرحية.

لم تجب ديلا على سؤال نيكولاس، واستدارت نحو الحاضرين قائلة:

- سيداتي وسادتي، قبل ان ابدأ بالغناء، سألخص لكم مسرحية «حبيبي جيوفاني» التي انتقيت منها اغنيتي... تتحدث المسرحية عن فتاة تعرفت على شاب عابث، وحاولت ان تقنعه بالعدول عن حياة اللامبالاة التي يعيشها، بينما صمم هو على اقناعها بالبحث عن حب حقيقي يملأ حياتها، مثل غيرها من



بنات حواء... تخبره الفتاة في هذه الأغنية بعلمها بصولاته وجولاته في عالم النساء، وانها لا تهتم به، ولن تكون واحدة من ضحايا عبثه مهما كلفها ذلك... سأغني الأغنية باللغة الايطالية، لغة المسرحية الأصلية، واتمنى ان يكون لها افضل الوقع في نفوسكم. كما اتمنى ان يساعدني صوتي في ادائها بشكل مرض.

اكد القبطان قائلاً:

- انني واثق بأنك ستؤدين الأغنية على افضل وجه يا آنسة نيف... سيداتي وسادتي.. اقدم لكم مغنية الأوبرا المشهورة الآنسة ديلا نيف في اغنية من مسرحية «حبيبي جيوفاني».

غردت ديلا بصوتها، وكأنها بلبل صداح، فشدت قلوب الموجودين اليها، فصمتوا، ونسيوا همومهم ومتاعبهم، وحلقوا معها في عوالم مختلفة، ملائكية، هادئة.

احست ديلا بعد العشاء انها قد حققت ذاتها في الغناء، ونالت اعجاب الجميع، فشكرت الله، وفكرت بالذهاب الى غرفتها للاستمتاع بالراحة بعد التعب.

وصلت الى غرفتها، فلم تستطع تحمل فكرة بقائها سجينة جدران غرفتها طوال الليل، وفكرت بالصعود الى غرفة استراحة السفينة، وقضاء بعض الوقت هناك.

كانت الليلة عاصفة، يزمجر فيها الرعد ويزأر البرق، والريح

الغاضبة تتلاعب بأمواج البحر، فتتمايل السفينة. حاولت ديلا تفادي حبات المطر المتلاحقة قدر استطاعتها اثناء ذهابها الى قاعة الاستراحة.

عندما وصلت الى هناك، خلعت ازارها، وجلست على مقعد قرب النافذة.

عادت بها الليلة العاصفة شيئاً الى الوراء، وتركتها مع ذكرياتها عن ليلة مشابهة مشؤومة، فقدت فيها والديها. تذكرت كيف انقذها مارش، واتى بها الى بيته، وتركها ترتاح في غرفة واسعة فخمة الأثاث.

استيقظت يومها في جوف الليل، مذعورة، تبكي غربتها ومصابها. سمعها مارش، فادخل غرفتها، وحاول التخفيف عنها. اخافها حاجباه الكثيفان. لكن تلطفه في معاملتها، انساها خوفها، فسألته:

- هل انا ابنتك بالتبني؟

اجابها مباشرة:

- لا... لكنني سأكون المسؤول عن تنشئتك. اعتبريني صديقك.. انا لست متزوجاً.

لم تعش ديلا في كنف مارش طفولة حقيقية. كان بيته مليئاً بالتحف والأشياء النادرة مما حرمها حرية الركض والتنقل بين الغرف، واللعب في ارجاء المنزل. لكنها وجدت سلواها



في غرفة الزروع والأزهار، تلك الغرفة الدافئة التي كانت تمضي فيها نهارها كله، تهمس للزرع وتغني للورد.

قال لها مارش يوماً، عندما استيقظت خائفة، تذرف الدموع:

- يهمني ان اراك سعيدة.. ان سعادتك تسعدني. انني انسان وحيد، ويسرني وجودك في بيتي، تخففين عني وحدتي.. ناديني مارش من الآن فصاعداً، وسأناديك ديلا بدلاً من دوللي.

سألته:

- لماذا تغير اسمي؟ لماذا تسميني ديلا؟

انفتح باب الغرفة، فتوقف شريط ذكريات ديلا، وعادت الى الواقع لتفاجأ بوجود نيكولاس فرانكويلا معها في الغرفة. اقترب منها متسائلاً:

- ماذا تفعلين هنا في مثل هذه الساعة؟

- وانت... ما الذي اتى بك؟

- اردت البقاء وحدي مع لفافة تبغ.

- اعدك ان اصمت، واتركك تستمتع بوحدتك.

- اهنئك.. شدوت اليوم شدو البلابل.

- اشكرك.

جلس في مقعد مريح مقابل مقعدها، واشعل لفافة تبغ.



www.elromancia.com

تأملته يدخن ثم سألته:

- هل سمعتني اغني قبل اليوم يا نيكولاس؟

- نعم... سمعتك تغنين في سان فرانسيسكو.

- لم تذكر لي اهتمامك بالأوبرا من قبل.

- هناك اشياء اتغاضى عن ذكرها في بعض الأحيان. لكن غناءك الليلة كان من افضل ما سمعت. احمد الله على عدم اضاعتي الفرصة... وبخاصة اننا سنصل غداً الى نابولي، حيث سأحط الرحال، وسنفترق الى الأبد.

ادهش كلام نيكولاس ديلا... صدمها.. عذبها، فمزقت منديلاً حريرياً كان في يدها.

تطلع نيكولاس الى المنديل وقال:

- يسعدني ان نفترق كأصدقاء. ان تمزيقك للمنديل دليل على انني لم اترك في نفسك اثراً سيئاً. تكلمت اليوم مع قبطان السفينة وافهمته ان رحلتي معكم ستنتهي في نابولي... اريد ان استقر يا دوللي... اريد ان استقر.

لم تستطع ديلا النظر اليه، لكنها قالت بصوت مخنوق:

- وفقك الله يا نيكولاس. سأفتقد وجودك... وسأحتفظ بأحلى الذكريات من رحلة استكشافنا لفينيسيا.

- اذا كان الأمر كما تقولين، فلماذا لا تقومين معي برحلة استكشافية اخرى لمدينة نابولي في الغد؟ سأعيدك الى السفينة



قبل موعد ابحارها، ما رأيك؟

- يسعدني تلبية دعوتك، ورؤية نابولي معك، ترى لماذا يقولون... شاهد نابولي ثم مت؟

- ان الشعراء واصحاب الأقوال يبالغون في وصف نابولي وما تتركه من اثر في قلوب ونفوس زائريها.

- تبدو لي متأجج العاطفة الليلة يا نيكولاس.

- انني الليلة ايطالي اصيل يا آنسة... دعيني اوصلك الى غرفتك. يجب ان تنالي قسطك من الراحة قبل البدء برحلة الغد.

أطاعته ديلا، وسارت معه وهي تسمعه يقول:

- ستحبين مدينة سورينتو الجميلة، العريقة، الخضراء.

عندما وصلا الى سطح السفينة، كان المطر قد توقف عن الهطول، وترك نسيماً بارداً قارساً رطباً يلفح وجهيهما. وصلا الى الدرجات المؤدية الى غرف النوم، فألقيا نظرة حزينة على سطح السفينة الذي عبراه معاً للمرة الأخيرة. كانا يهبطان الدرجات عندما مالت السفينة. كادت ديلا تسقط ارضاً، لكن نيكولاس حماها من السقوط بذراعيه. فاستكانت الى صدره لحظات مرت كالحلم، تلاقت بعدها العيون، وبدأت حديثاً تمنت ديلا الا ينتهي. لكنها انتزعت نفسها من ذراعي نيكولاس بعد قليل، وسارت الى جانبه حتى وصلا الى باب غرفتها حيث ودعها



www.elromancia.com

قائلاً:

- تصبحين على خير يا ديلا . . سأراك في الغد ان شاء الله.

- تصبح على خير يا نيكولاس. واشكرك مرة اخرى على دعوتك.

دخلت غرفتها، وبقيت وحدها مع أنين قلبها، وشكوى روحها. . .



٨ - أريدك ان تغني لي حتى يبقى يومنا هذا حياً في ذاكرتك. استنشقي الهواء النقي وغني لي وحدي. هل تخجلين من الغناء امامي؟



www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

تدربت ديلا على اصول الغناء الأوبرالي منذ نعومة اظفارها، وقد ساعدها هذا على اعتماد النظام اساساً لحياتها، وعلمها كيفية السيطرة على افكارها وأحاسيسها ومشاعرها.

استيقظت في صباح اليوم الثاني، وشربت قهوتها في غرفتها قبل ان تستحم، وتلبس فستاناً هادىء اللون، يتناسب مع رحلتها الاستكشافية لأنحاء نابولي.

كانت السفينة ترسو على الشواطىء عندما صعدت الى السطح، ورأت نيكولاس غارقاً في تأمل المناظر حوله.

رآها، فاستدار متجهاً نحوها، وابتسامة حلوة تضيء محياه.



ارتبكت وهي ترقبه يقترب منها. قال لها:

ـ جمالك اخاذ هذا الصباح يا آنسة... ستقع ايطاليا اليوم في حبك.

ـ اشكرك يا نيكولاس. ان وسامتك واضحة هذا الصباح ايضاً، واعتناؤك بمظهرك يؤكد انك نبيل ايطالي.

حدجها بنظرة جعلتها تفكر بالفرار من امامه في اسرع وقت. احس بذلك، فأمسك بذراعها قائلاً:

ـ لا تنسي انك وعدتني بقضاء اليوم معي في نابولي.

ـ ما زلت عند وعدي. هيا بنا ننضم الى مجموعة المسافرين التي ستزور نابولي مثلنا.

نزل المسافرون الى الشاطىء، فاصطدم نيكولاس وديلا بكاميلا التي كانت تنوي وضع طفلتها في رعاية جدها، قبل ان تتابع الرحلة.

حمل نيكولاس الطفلة بين ذراعيه وسألها:

ـ هل انت سعيدة بذهابك للعيش مع جدك يا صغيرتي؟

ـ نعم يا نيكولاس. ان جدي يزرع الكروم على سفح الجبل البركاني الكبير.

ـ انقصدين جبل فيزوف الذي ثار بركانه يوماً واحرق مدينة بومباي الايطالية، وابقاها اثراً بعد عين؟ معك حق، العنب هناك ينمو في تربة اغنتها مخلفات البركان.

قالت كاميلا:

- يظهر انك تحن لايطاليا يا نيكولاس. كان بودي قضاء النهار معك، لكن علي الاطمئنان على احوال هوني، قبل متابعة الرحلة.

رد نيكولاس:

- ان الاطمئنان على احوال هوني من اهم واجباتك.

ثم عاد الى عناق الصغيرة قائلاً:

- اودعك الآن يا هوني، على امل لقاء قريب، عندما آتي لزيارتك في مزرعة جدك.

احاطت الطفلة رقبته بذراعيها فرحة:

- عظيم .. عظيم. سأسعد بلقياك يا نيكولاس.

- انني متأكد من ذلك يا صغيرتي.

تدخلت كاميلا:

- ارجوك يا نيكولاس، لا تعد الطفلة بأشياء لن تستطيع الايفاء بها.

اكد نيكولاس:

- انني افي بوعودي دائماً، وسأفي بوعدي لهوني، لأنني قررت الاستقرار على ارضي وبين اهلي. سأبيت الليلة في نابولي، وأتابع طريقي الى توسكاني غداً صباحاً، باذن الله.

تحدته كاميلا:



- ليست رغبتك في العودة الى توسكاني الا نوبة من نوبات الحنين التي تنتاب كل انسان عندما يكون بعيداً عن ارضه واهله. كيف ستعيش بعيداً عن حياة اللهو والعبث التي اعتدت عليها؟ هل تنوي الزواج بفتاة يختارها لك اهلك، كما يفعل معظم الايطاليين؟

خافت ديلا من رد فعل نيكولاس على كلام كاميلا الذي لامس جرحاً قديماً ما زال ينزف في اعماقه. لكنه سيطر على اعصابه امام هوني وقال:

- افضل النزول الى الشاطىء...

ودع نيكولاس وديلا الطفلة وامها، فاندفعت الطفلة نحو ديلا وعانقتها قائلة:

- هل ستأتين لزيارتي مع نيكولاس يا ديلا؟

احتارت ديلا بماذا تجيب الطفلة، وقالت بعد تفكير:

- ان شاء الله يا عزيزتي.

كان نيكولاس قد استأجر سيارة فخمة ليستخدمها في تنقلاتهما. وبعد زيارة خاطفة للساحات الرائعة في قلب نابولي، اتجها الى ساليرنو المدينة الصغيرة المعروفة. قال نيكولاس:

- يعتبر الايطاليون نابولي جنة ارواحهم وجحيمها في وقت واحد. تأملي روعة هذه القصور... اتعرفين انه في هذا القصر بالذات تعرف الأدميرال نيلسون، القائد البحري الانكليزي



www.elromancia.com

المعروف، على الليدي هاملتون، سليلة بلاطات الملوك، ووقع في غرامها؟ ان ايطاليا بلاد المحبين، وارضها تنبت اروع بذور الحب.

مرا بمزارع الزيتون، والكروم، ثم بآثار بومباي، المدينة المحترقة.

قال نيكولاس لديلا:

- لا ارغب بمشاهدة الآثار. ما رأيك ان نجتاز بومباي الى رافيلو، المدينة المجاورة؟

سألته:

- الم تكن رافيلو مسقط رأس كاروسو المغني الشهير؟

- لا اعرف بالتأكيد. غني لي يا ديلا.. غني لي اية اغنية تختارين. اريدك ان تغني الآن حتى يبقى يومنا هذا حياً في ذاكرتك عندما تعودين الى انكلترا.

آلمها كلامه، فحاولت رفض طلبه:

- لا يمكنني ان اغني يا نيكولاس... صدقني.

- استنشقي الهواء النقي، وغني لي... غني لي وحدي. هل تخجلين من الغناء امامي؟

- لقد غنيت لآلاف المستمعين من قبل، فلماذا اخجل منك؟

- هيا اذن... هيا. غني لي.



- يذكرني اصرارك بأول استاذ تدربت على يده.

- هل كان ايطالياً؟

- نعم. لماذا تريدني ان اغني؟ اشعر انني تحت رحمتك، واذا لم انفذ طلبك، فسترميني في هذه المناطق المهجورة.

- وماذا لو فعلت؟ اعتقد انك تستطيعين تدبير امورك، فأنت لست طفلة صغيرة، بل فتاة ناضجة، وعلى وشك الزواج. لماذا عدت الى خلع خاتمك يا ديلا؟

- انه موجود في حقيبتي، واستطيع ان البسه.

قاطعها:

- لا. لا حاجة لأن تحيطي اصبعك برمز حبك لرجل آخر. انه رمز حبك، أليس كذلك؟

- نعم، هو كذلك بالفعل. ان لمارش اكبر الأثر في حياتي.

- سمعت انه رجل صعب المراس يا دوللي.

- لا. ليس الى الحد الذي تتصوره. اسمي ديلا من فضلك.. وقد اثبت مارش ذلك في السجلات الرسمية منذ زمن بعيد.

- لا افهم لماذا غير اسمك.

- ارجوك يا نيكولاس، لا تحرجني باسئلتك.

- ما الذي تريدينه مني يا ديلا؟

- اريدك ان تتوقف عن محاولة استجوابي، لأن مارش يهمني



www.elromancia.com

واشعر انه بحاجة الي.

- وانت. . . ماذا تحتاجين يا ديلا؟

- انني بحاجة للسعادة مثل اترابي من بني البشر.

- وماذا تقولين بحاجتي انا. . لانسانة تملأ علي حياتي؟

- لا لزوم لأن ترهق قلبك بالحب يا نيكولاس. هناك الكثيرات من النساء اللواتي يبحثن عن وقت ممتع مع رجل مثلك.

- الا تعتقدين ان قلبي يحتاج للحب مثل باقي القلوب يا ديلا؟

- لا يا نيكولاس. انك تعتبر الحب لعبة يلعبها الانسان للتسلية وتمضية الوقت. انا لا الومك. . . لكل انسان اسلوبه في التعامل مع الحياة. اخبرني كيف ستستطيع الاكتفاء بحياة هادئة في توسكاني، بعد اعتيادك على حياة المدن الصاخبة؟

- سأخوض التجربة، واذا فشلت، فسأعود الى مسيرتي الأولى.

- آه يا نيكولاس. . ألف آه.

- ما بك يا ديلا؟ تفضح كلماتك الماً دفيناً، وكأنك تأسفين لحالي. لا تشفقي علي من السير في طريق اخترته بملء ارادتي.

- والى اين سيؤدي طريقك بك؟ اعتقد ان اختيارك للضياع دوامة تبتلعك، له اسباب خاصة. . .



- غني لي يا ديلا. . ارجوك.

- حسناً.

تابعت السيارة طريقها، وبدأت ديلا تغني لنيكولاس عن حب مستحيل، بعد ان خانتها الشجاعة في مصارحته بما تعرفه عن ظروفه، ومأساته. عندما توقفت عن الغناء احتضن نيكولاس يدها شاكراً وقال:

- ساعدك المجيء الى ايطاليا في ايجاد صوتك.

فكرت ديلا بكلامه، فوجدت انها ربما وجدت صوتها، لكنها اضاعت قلبها المسكين، النابض، الدافىء.

تتابعت المناظر خلابة امام عينيها، وداعب الهواء وجهها وشعرها بشكل اسعدها، وساعدها على الاسترخاء اكثر.

سيطر عليها فرح غامض غامر، كانت اضعف من ان تقاومه. فقررت ان تستسلم له وتعيش مع نيكولاس ساعات حلوة، يخطفانها معاً من حدائق الزمن.

قال نيكولاس فجأة:

- يمكننا ان نتوقف في مدينة امالفي الحلوة، الهادئة، اذا كنت جائعة. سنزور رافيلو بعد الظهر.

- انني طوع امرك على ارضك يا نيكولاس. تصرف كما تريد، شرط ان تعيدني الى السفينة في الوقت المناسب.

تناولا غداء لذيذاً في مطعم صغير من مطاعم امالفي،



www.elromancia.com

وشربا عصير العنب الطازج. سألها نيكولاس:

- اتحبين عصير العنب الطازج يا ديلا؟

- نعم... احبه كثيراً.

قال لها:

- جميل منظر اشعة الشمس وهي تغرق في شعرك وتداعبه.

ابتسمت ديلا بحياء:

- هل اعتبر كلامك غزلاً يا نيكولاس؟

- اعتبريه ما شئت. وتأكدي ان الايطاليين لا يعرفون معنى اخفاء المشاعر وخنق الأحاسيس. اجد جمالك اليوم خارقاً، يدفع بكلمات الاعجاب الى لساني.

مضت نصف ساعة، واصلا بعدها طريقهما الى رافيلو بصمت فرضته عليهما المناظر الخلابة، والبيوت الفخمة التي تناثرت على طول الطريق. اوقف نيكولاس السيارة امام بيت فخم، تحيطه حديقة غناء، وقال:

- ان لهذه البيوت جمالاً لم تجرؤ حياتنا المعاصرة ان تسحقه او تمحوه.

قالت ديلا مبهورة:

- معك حق... معك حق.

- يشجعني اعجابك بالقصر على ذكر قصر قديم آخر قريب من هنا يستحق المشاهدة.



- هيا بنا اليه... هيا بنا.

فتحت باب السيارة بحماسة، ونزلت، فتبعها نيكولاس، وسارا معاً باتجاه تلال تربع القصر على قمتها.

فتحا باب الحديقة، فهبت عليهما نسائم التاريخ العبقة. فانتشت ديلا، واحست بأمواج الغبطة والسرور تغمر قلبها. صعدا درجات حجرية عتيقة تؤدي الى شرفة واسعة تطل على المنطقة بأسرها. حدثها نيكولاس هناك عن توسكاني، مسقط رأسه، وعن بيته المتربع على التلال، والمشرف على سهول المنطقة ووديانها. قال لها:

- عندما يأتي المساء، يحلو لي ان اخلو بنفسي على شرفة بيتي مع القمر والنجوم والذكريات.

ازداد ضغط يده على اصابع يدها المستكينة الى كفه. احست بما يعانيه، فلم تنطق ببنت شفة حتى تراخت قبضته، وتأمل اصابعها قائلاً:

- تترافق الحياة مع الموت في يد المرأة.

قاطعته ديلا راجية:

- كف عن تعذيب نفسك يا نيكولاس، اتوسل اليك. لا احتمل رؤيتك على هذه الحال.

تفجرت براكين غضب نيكولاس:

- عن اي حال تتكلمين؟ ما الذي يعذبني؟ كونك

ستصبحين زوجة لرجل اخر مثلاً؟

ـ لا... لا. ليس هذا ما اقصده... اعرف انني لست احد اسباب الملك.

ـ ما الذي تفكرين فيه اذن؟ كفانا غموضاً، صارحيني.. هل تعتقدين انك عذابي، وتحاولين الآن انقاذي من هذا العذاب؟

احست بقبضته تشتد حول كتفيها، فصرخت:

ـ اعرف كل شيء عن مأساتك، وخسارتك لطفلتك.

ـ ان موت تريني اكثر من خسارة، لقد فقدت طفلتي الى الابد، واضعت معها الأمل، والحب، والسعادة. لكن لماذا اكلمك عن الحب؟ ما الذي تدرفينه عن هذه العاطفة النبيلة؟

دفعته عنها غاضبة:

ـ ما الذي تعرفه انت عن الحب يا سيدي؟ لقد تزوجت ارضاء لأهلك، مثلما سأتزوج انا الرجل الذي رعاني، عرفاناً بالجميل. للحب وجوه مختلفة يا سيدي... ان له وجوهاً مختلفة، متعددة.

ـ ترى اي وجه من وجوه الحب يثبت خاتمك؟

ـ انه يثبت الحب القائم على الثقة، والحنان، والاحترام المتبادل.

ـ وما نوع الحب الذي اوحي به لقلبك؟



ما ان سمعت ديلا سؤاله، حتى اغرورقت عيناها بالدموع. وفضلت الهرب من امامه قائلة:

ـ لا اعرف. ولا اريد ان اعرف. دعني... دعني ارجوك.

افلتت من قبضته، وهبطت الدرجات مسرعة باتجاه باب القصر الرئيسي. لكن نيكولاس كان اسرع منها، امسك بها، واجبرها على مواجهته قائلاً:

ـ كفكفي دموعك، واسمعيني، لا تشفقي علي او على نفسك. كفاك سذاجة.

صرخت في وجهه:

ـ انك انسان اناني، ومنطو على نفسك. لا تهمك مشاعر الآخرين واحاسيسهم. انك ماهر في بتر اليد التي تمتد اليك بالمساعدة. لماذا؟ اتعرف ان تعلقي بمارش يعود الى عنايته ورعايته لي بعد وفاة والدي؟ لم ارفض يده حين امتدت لمساعدتي. اما انت، فتفضل ان تدفنك احزانك على ان تقبل مواساة من احد... ما السبب يا نيكولاس؟ ما السبب؟

سخر منها:

ـ ربما احتفظت بشكوى قلبي، لأسمعك اياها وحدك.

ـ انك رجل بلا قلب، ابتلعتك الأحزان فترة طويلة، نسيت خلالها ابسط القواعد الانسانية.

اسكتها بضمها الى صدره. حاولت مقاومته، لكنها لم تجد

جدوى في المقاومة، واستسلمت لذراعيه سعيدة، حزينة، خائفة، مطمئنة.

مرت لحظات شعرت بعدها ديلا بارتجاف الأرض تحت قدميها، وشاهد نيكولاس حجارة ضخمة تتدحرج باتجاههما.

أبعدها عن ممر الحجارة بسرعة، وعاد الى عناقها، محاولاً تهدئة خوفها، بقوله:

- لا تخافي يا عزيزتي. لا تخافي. هزة ارضية بسيطة.

تطلعت اليه قائلة:

- ان امثالك من الايطاليين يستحقون مثل هذه الهزات.

قهقه نيكولاس ضاحكاً، فشاركته الضحك، قبل ان تسمعه يتساءل:

- هل اخيفك اكثر من الهزات الأرضية يا ديلا؟ لقد نجح خطيبك في ايقاظ المرأة في اعماقك، وتناسى الطفولة التي تسكن قلبك. يجب ان نسرع في العودة، اذا اردنا الوصول الى السفينة في الوقت المناسب.

فتح باب السيارة امامها، فقالت له:

- شكراً لك يا نيكولاس.

- كانت نزهة مثيرة، أليس كذلك؟

- ترى هل ستضرب هزة ارضية اخرى المنطقة؟

اتخذ مكانه وراء المقود وهو يقول:



- لا يستطيع احد ان يجزم بهذا الشأن يا عزيزتي.

قاد السيارة بسرعة، وحين بدأ الليل يرخي سدوله سألها:

- الا تشعرين بالبرد؟

- لا . اطمئن. . .

- يمكنك استعمال سترتي.

- وما الذي سترتديه انت عوضاً عنها؟

- لا تقلقي بشأني. خذي السترة.

- حسناً.

لبست السترة فسألها:

- اهذا افضل؟

- نعم. . . اشكرك على اهتمامك.

فاجأتهما في منتصف الطريق اطنان من الحجارة تسببت الهزة في سقوطها. اوقف نيكولاس السيارة مباشرة وقال:

- لن تستطيع السيارة اجتياز الكومة، يظهر ان الهزة كانت عنيفة في هذه المنطقة.

تساءلت ديلا:

- كيف سنصل الى السفينة والصخور تسد الطريق؟

- يجب ان نعود الى امالفي، ونسلك الطريق الواصل بينها وبين نابولي. لكن ذلك لن يوصلنا الى السفينة في الوقت المناسب.

- اتعني اننا لن نستطيع حراكاً هذه الليلة؟

- نعم.

- وهل سننام في السيارة ايضاً؟

- يمكننا ان نبحث عن بيت يؤوينا . . . لقد لمحت بيتاً قريباً من هنا. ما رأيك بعودتنا للبحث عنه؟

- فكرة ممتازة. سأركب الطائرة غداً، واسافر الى اليونان حيث سترسو السفينة.

- هل ستخبرين خطيبك بما حدث؟ هل انت خائفة مما سيقوله عندما يعلم؟

- انني لا اخفي عن مارش شيئاً. وافضل دائماً ان يسمع اخباري مني ولبس من الصحف، وزوايا. . .

قاطعها:

- تخافين زوايا فضائح المجتمع، أليس كذلك؟ انصحك بألا تخبري احداً بأننا كنا سوية، لأنني صاحب سمعة سيئة.

- كفاك سخرية يا نيكولاس، وتعال نفتش عن البيت قبل ان تزداد أحوالنا سوءاً.

- هيا بنا يا عزيزتي.

تركا السيارة، وسارا على الأقدام فترة قبل ان يسألها نيكولاس:

- بماذا يوحي لك الليل يا ديلا؟



حاولت ديلا بجوابها الهروب من اي حديث رومانسي مع نيكولاس.

قالت له:

- يذكرني الليل في الوقت الحاضر بأنني جائعة، ولم آكل منذ ساعات.

- انظري، ها هو البيت الذي حدثتك عنه.

خافت ديلا من البيت المظلم المهجور:

- يبدو عتيقاً ومظلماً.

- انه البيت الوحيد في هذه النواحي. دعينا نأمل ان يكون مأهولاً بالسكان الذين يمكنهم اطعامنا.

- لا تذكرني بالجوع، ارجوك يا نيكولاس.

- اعطيني يدك، فالمكان مظلم، ولا اريدك ان تتعثري. .

عبرا حديقة تنقصها العناية والرعاية. وقرعا جرس باب البيت الرئيسي. فلم يجبهما احد.

شعرا بخيبة الأمل، وقال نيكولاس:

- يظهر ان البيت مهجور، لكنه مأوانا الوحيد الليلة، لذلك سأفتش عن نافذة مفتوحة، وادخل لأفتح الباب من الداخل.

تعلقت ديلا به:

- نيكولاس، أنا. .

- لا يوجد اي حل آخر يا ديلا. . لا يمكننا ان نبقى خارج



www.elromancia.com

البيت طوال الليل، فالبرد يشتد.

- ان احساسك بالبرد يشعرني بالذنب، لأنني البس سترتك.

- لا تهتمي بأمري. سأتركك وحدك دقائق، واذهب للبحث عن نافذة مفتوحة.

- دعني اذهب معك.. المكان مظلم، وأنا...

- لا تخافي، فالعتمة لن تؤذيك يا عزيزتي... تشجعي. اتعرفين انني احب تناقضك؟ احببت شجاعتك اثناء الهزة، واحب الآن خوفك من الظلمة. لكن اهم ما في الأمر، انك ولأول مرة تسعين للبقاء معي، ولا تتهربين مني.

- ان ثقتك بنفسك كبيرة. اذهب... اذهب وابحث عما تريد.

بقيت وحدها في الحديقة، فتذكرت كيف مرت ساعات يومها مع نيكولاس هادئة، حلوة، لولا الهزة الأرضية التي ضربت المنطقة.

كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة مساء. قلقت ديلا، لأن السفينة ستبحر في الثانية عشرة تماماً. لكنها كانت تعرف ان جو هارتلي سيشعر بغيابها، ويبلغ قبطان السفينة، وسيبدأ القبطان بالبحث والتنقيب، وتصل الأنباء الى وسائل الاعلام، وسيعرف الناس جميعاً انها كانت بصحبة الكونت نيكولاس



فرانكويلا، المعروف بغزواته النسائية، وتتكاثر الاسئلة والاستفسارات... ارعبها صوت انفتاح الباب، فصرخت، ولم تطمئن الا عندما رأت نيكولاس يقف على عتبته، وفي يده مصباح قديم. قال لها:

- دخلت من نافذة المطبخ، فوجدت هذا المصباح، واكتشفت ان في الخزائن بعض الأغذية والقهوة. لا تقفي وحدك في الحديقة. ادخلي الى البيت.. ادخلي.

اطاعته ديلا، وتأملت البيت القديم، وارضه الرخامية، ومفروشاته الخشبية الثمينة. قال لها نيكولاس:

- اعتقد ان البيت كان مليئاً بالكنوز.

قالت ديلا:

- يبدو بيتاً عريقاً، لكنني لست معتادة على هذا النوع من البيوت.

- اؤكد لك ان اصحاب البيت لن يمانعوا في استعمالنا الليلة لبيتهم، فإكرام الضيف من العادات الايطالية، التي نعتز بها.

دارا في انحاء البيت يستكشفانه، فرأى نيكولاس في احدى الغرف دمية شمعية اللون، على وجهها ابتسامة بلهاء. تأملها، فعلا الاصفرار وجهه عرفت ديلا ان الدمية ذكرته بابنته، التي حملها بين ذراعيه يوماً جثة هامدة، شمعية اللون.

حاولت ان تساعده في تمزيق طوق الذكريات بقولها:

- تعال يا نيكولاس... تعال نشعل المدفأة في غرفة الجلوس.

- اجل. هيا بنا يا ديلا.. ما رأيك بشرب القليل من القهوة الساخنة ايضاً؟

- لك ما شئت، لكن اين الطريق الى المطبخ؟

- تعالي معي لأدلك عليه.



٩- ذهب وتركها وحدها فأحست بالضياع يكاد يدفعها الى الصراخ. وبخاصة عندما تذكرت كيف تركها بسهولة كأنهما... غريبان يفترقان.



www.elromancia.com
مـرمـوريـة

دخل نيكولاس وديلا مطبخاً واسعاً، وأشعلا مدفأة قديمة، واشتركا في شرب قهوة ساخنة أنستهما تعبهما.

هبط نيكولاس الدرجات المؤدية الى مستودع المؤن. وعاد الى المطبخ حاملا بعض المأكولات المحفوظة. قال لديلا:

- أتمانعين في تناول المآكل المحفوظة؟

- طبعاً لا.. لكن ألا تحتاج العلب للتسخين؟

- سنضع علبة او علبتين في ماء القهوة المغلي. تحزنني البيوت المهجورة. ان بيتي في توسكاني مهجور ايضا، الا من بعض الخدم.. غريبة ظروف الانسان، لقد جمعتنا الأيام،



وتستعد الآن لتفريقنا. سأكون غداً في توسكاني، وستطيرين انت الى اليونان لانتظار السفينة هناك.

- ليس في نيتي السفر الى اليونان.

- ماذا تعنين؟

- لقد قررت العودة الى انكلترا.

- هكذا اذن.. لم يعد باستطاعتك الابتعاد عن مارش، أليس كذلك؟

- نعم.. اشتقت لوجوده.

كان على ديلا ان تعود الى مارش وتشرح له ظروف بقائها مع الكونت نيكولاس فرانكويلا العابث، ليلة كاملة. وكانت واثقة من حبه لها وقدرته على تفهم أوضاعها وظروفها.

ناولها نيكولاس ابريق القهوة قائلا:

- اكثري من شرب القهوة، فقد تساعدك على استعادة نشاطك.

- أشكرك.

تناولا وجبة خفيفة، وشربا القهوة على ضوء القنديل الخافت، وهما يجلسان على صندوقين خشبيين قديمين وجدوهما في المطبخ. قال نيكولاس:

- احمد الله على وجود بيت يؤوينا، وطعام ينسينا جوعنا.

أيدته ديلا:

- نعم.. نعم. احمد الله وأشكره ألف مرة.

- شكراً على قهوتك اللذيذة.

- لا تنس انك أشعلت النار، وساعدتني في تسخينها. صحيح.. ماذا سنفعل بعد ان ينفد ما لدينا من حطب؟

- سنحرق الصندوق الذي تجلسين عليه، ثم نفتش عن أشياء اخرى قابلة للاحتراق.. لا تقلقي، سأسهر على راحتك.

- ما رأيك بحرق تلك اللعبة البلهاء التي وجدناها في الغرفة المجاورة؟

- لا.. لا.. أبداً. من المؤكد ان اللعبة كانت لطفلة، ولا يمكنني حرق أشياء تخص الأطفال. ستصبحين أماً في يوم من الأيام، وتفهمين ما أعني.

حملقت ديلا في نيكولاس المخلص لذكرياته، الذي أبت عليه طبيعته ان يحرق لعبة لطفلة، وكأنها تراه لأول مرة. بقيت مشدوهة، تفكر حتى سمعته يقول:

- من حسن الحظ اننا وجدنا القليل من الماء للاستعمال. أرجو ألا يكون تناولنا للعشاء من طبق واحد قد ضايقك.

- ولماذا يضايقني يا نيكولاس؟

- لم أعد أعرف ما يضايقك وما يسرك. البرودة الانكليزية تلفّك بردائها، وتمنع عني الوصول الى أعماقك.. كان العشاء



لذيذاً، أليس كذلك؟ اسمعي. بدأ المطر يهطل.. ما أحلى نغمات حباته وهي تطرق زجاج النافذة.

أنصتا لهمسات المطر سوية، ولاحظت ديلا ان الذكريات عادت لاختطاف نيكولاس وابعاده عن الواقع، فأشفقت عليه من العذاب لكنها عادت للتفكير بكيفية قضائها لساعات الليل معه.

نادته:

- نيكولاس..

فأجابها على الفور:

- أعرف انك تفكرين بأفضل طريقة يمكننا قضاء الليل فيها سوية، بعد ان نفد ما لدينا من وقود، وبعد ان داهمنا البرد. كما أعرف ايضا، انك كنت تفضلين البقاء في السيارة، لكن البقاء هناك خطير، لأنه يخشى بعد كل زلزال من انهيارات أرضية.

- ليس هذا ما أفكر فيه يا نيكولاس.. صدقني.

- لا تحاولي خداعي. لو خيروك بيني وبين جوهارتلي، فمع من تفضلين تمضية الليل؟ لِمَ كل هذا الارتباك؟ أعرف انك كنت ستختارين جوهارتلي، صاحب السمعة النظيفة، والقلب الحنون.. أتخافين مني الى هذا الحد يا ديلا؟

اقترب منها خطوة، فقفزت من مكانها صارخة:

- اياك والاقتراب مني يا نيكولاس. لست مثل غيري من



www.elromancia.com

الفتيات اللواتي اعتدت مصاحبتهن. ان لي كرامتي وكبريائي، ولن أتخلى عنهما لأي رجل. لا شك في انك كنت تفضل وجود كاميلا الليلة في صحبتك.

- لماذا تقارنين دائماً بينك وبين كاميلا؟ أتحاولين معرفة اذا كنت أميل اليك اكثر منها؟

- لا. ليس هذا ما أريده، لأنني أعرف انك لا تحب ما هو سهل المنال، وتفضل المطاردة قبل الصيد.

- ان كلامك خطير. تذكري انك الليلة تحت رحمتي، وقد يدفعني تحدّيك الى اثبات قدرتي على اذابة سيدة الثلج، وتحويلها الى انسانة حقيقية، وقد لا يرضي هذا خطيبك الانكليزي، الذي يحبذ بقاءك داخل اطارك الجامد البارد. اذا كان هذا ما يريده، فما الذي تريدينه أنت؟ ما الذي يطالب به قلبك؟

- ان ما أتمناه وأريده ليس من شأنك يا نيكولاس. ليس من شأنك أبداً.

وبّخته واستدارت تخفي دموعها. مضت لحظات أحست بعدها بيده تربت على كتفها بحنان وهو يقول:

- أتمنى ان تعرفي مع مارش معنى الحب الحقيقي يا ديلا، لأنه ليس أقسى على الانسان من الارتباط بدون حب. علمتني تجربتي ان الحب شعلة يجب ان تضيء القلب قبل الاقدام على



الزواج.

اجبرها على النظر اليه، ثم تساءل:

- أتحبين مارش غراهام يا ديلا؟

- نعم.. احبه. احبه كثيراً، لأنه لم يؤلمني يوماً بتصرفاته او بكلامه كما تفعل انت. انه رجل لطيف، وسأتزوجه في القريب العاجل.

- ليكن ما يكون.. من الأفضل لنا ان نجهز مكاناً ننام فيه هذه الليلة.. تعالي.

حطم نيكولاس غطاء احدى الصناديق الخشبية، ووقف ينظر اليه قائلا:

- عندما كنت طفلا كان لدي سرير خشبي صغير يشبه هذا الصندوق كنا نختبىء فيه انا وانجيلو، ونعتبره قلعة تحمينا.

كان الصندوق مليئاً بالمجلات والصحف القديمة. أخرجها نيكولاس، فشاهدت ديلا عنكبوتاً كبيراً يتسلل من بينها. اقشعر بدنها، وكاد زمام أعصابها يفلت منها.

بدا كل شيء حولها مخيفاً، نيكولاس، القصر المهجور، ظلمة الليل والأمطار... ورغم ذلك كله وجدت نفسها تتمنى العيش في ايطاليا، بلد نيكولاس ومنبع الحب والمحبين.

أشعل نيكولاس كومة من الصحف والمجلات قائلا:

- ستدفئنا حرارة النار قليلا، وتمتص قليلا من الرطوبة حولنا.

وجد بعض الوسائد، فرماها على الأرض، بعد ان أزال عنها بعضاً من غبارها، ثم قال:

- يجب ان ننام، علّ النوم يريحنا قليلا... لقد أبحرت السفينة، وأنصحك بعدم اقلاق نفسك بشأنها او بشأن الاشاعات التي سيسببها ضياعنا معاً.

- وماذا عن كاميلا؟

- ماذا عنها؟

- انها تهوى الثرثرة.

- وما دخلي أنا.

- لا تنس انها اهتمت بأمرك طوال الرحلة، وقد يقلقها غيابك.

- لقد احتملت سخافة كاميلا طوال الرحلة من أجل ابنتها البريئة التي ستعرف السعادة الآن بعد استقرارها في كنف جدها.

- ان الطفلة اذن هي سبب اهتمامك بالأم.

- نعم... تبحث كاميلا عن الثراء والأثرياء، ولا يمكنني الارتباط بأمثالها من النساء. أتذكرين يوم سقطت منك أزهارك، وأعدتها اليك؟ كنت قبلها بقليل قد لمحت عينيك الحزينتين، فصممت ان أترك في نفسك أثراً لا يمحى.



- ان ثقتك بنفسك كبيرة.

- أتستطيعين انكار انك معجبة بي يا ديلا؟ تعالي استرخي وتناسي كل شيء.

- أين تريدني ان أستريح يا نيكولاس؟

- هنا بالقرب مني، وأعدك ان أبقى ساهراً على راحتك طوال الليل.

- ليس لدي خيار آخر، لذلك سأترك الأمر لله وحده.

- تعالي لأدلك على مكان الاستحمام، لتغسلي يديك ووجهك قبل النوم. سآخذ هذا المصباح معنا ليضيء لنا الطريق.

دخلت غرفة الحمام سعيدة بما يبديه نيكولاس من اهتمام بها ورعاية لشؤونها. وعندما خرجت وجدته بانتظارها، فقالت:

- ان الظلام دامس في الداخل.

- انه دامس هنا ايضا. أتمانعين بانتظاري حتى أخرج من الحمام؟

- لا.. أبداً.

تركها وحدها في الظلمة، فعاد اليها خوفها وارتباكها.. وعلا وجيب قلبها وكأنها عروس في ليلة زفافها.

حاول نيكولاس ان يجعل ساعات نومهما مريحة، فاجتهد في تدفئة ديلا التي مازحته قائلة:



www.elromancia.com

- ان محاولاتك لتدفئتي، ولفّك الغطاء حولي يشعرني بأنك تحاول تقييدي.

- سنحتاج للدفء هذه الليلة.

كانت أعصاب ديلا ما تزال متوترة عندما أتى اليها نيكولاس بالمصباح قائلا:

- سيبقى هذا المصباح مضاء الى ان ينفد زيته، وسأترك للمسؤول عن العناية بالبيت بعض المال كتعويض عما استهلكناه. هل ارتاحت أعصابك قليلا يا عزيزتي؟

خانتها الكلمات، فأجابت بايماءة من رأسها، وبدأت تحس بالدفء يسكن أوصالها المتعبة.

استلقى على الأرض قريباً منها وقال:

- اعتبري نفسك هوني الطفلة الصغيرة.

لم يكن من السهل على ديلا التصرف كما اقترح نيكولاس. لكن أعصابها تراخت شيئاً فشيئاً، واستكان رأسها الصغير الى صدره الواسع، قبل ان تغفو على أنغام موسيقى المطر وصفير الريح.

استيقظت مع ساعات الفجر الأولى، وراحت تتأمل نيكولاس الذي غلبه النعاس، بعدان اطمأن على استغراقها في النوم.

كان يبدو هادئاً وسيماً، فلم تجرؤ ان توقظه بمحاولة نهوضها،



فأغمضت عينيها وغفت، لتصحو مع أشعة الشمس تداعب جفنيها. فتحت عينيها، فوجدت نيكولاس يتأملها وكأنها طفلة يسعده ان يحميها ويرعاها. سألها:

- هل انت جائعة يا عزيزتي؟

ساعد احساسها بقربه على توتر اعصابها من جديد، لكنها كبحت جماح نفسها بقولها:

- أرحب بوجبة فطور لذيذة بالطبع.

- عندما صحوت هذا الصباح، أسعدتني نظراتك، وارتباكك حين أدركت ان رأسك الصغير استكان الى صدري طوال الليل.

- لم أرتبك، وقد اقتربت منك بناء على اقتراحك، ومن أجل الابقاء على الدفء.

- أعتقد انها اول مرة ترين فيها رجلا ساعة استيقاظه.

- لكن رؤيتك للمرأة لحظة استيقاظها ليست من التجارب الجديدة في حياتك، أليس كذلك يا نيكولاس؟

- خبيثة... خبيثة انت يا فتاتي، لكنني أحببت النظرة البريئة التي لمحتها في عينيك لحظة استيقاظك.

- أرجوك يا نيكولاس ان تتوقف عن مثل هذا الكلام، وتنهض للاستعداد لرحلة العودة. فأمامنا الكثير لنفعله.

- معك حق... يجب ان أنهض. هيا بنا.

تأملا بعضهما وسخرا من نفسيهما.

- مظهرنا أكبر اثبات على ما عانيناه الليلة الماضية.

قرر نيكولاس العودة الى أمالفي ومنها سيسافران بالقطار الى نابولي، لأنها وسيلة نقل أسرع. وافقت ديلا على الترتيب، وعندما خرجا من القصر المهجور بعد نصف ساعة، تأملاه بنظرة وداع حزينة. قال نيكولاس:

- لا أحب كلمة الوداع، وأفضل عليها كلمة الى اللقاء.

كان طريق العودة الى السيارة صعباً، موحلا، بفعل الأمطار في الليلة الماضية. فحمل نيكولاس ديلا بين ذراعيه وأجلسها في المقعد الأمامي. وبعدها تابعا طريقهما الى أمالفي.

تناولا فطورهما في نفس المطعم حيث تناولا الغداء في أمالفي، ومن ثم ركبا القطار الى نابولي... فغفت ديلا محاولة ان تنسى ان اقترابها من نابولي يعني ابتعادها عن نيكولاس الى الأبد. سمعت أنين قلبها:

«وداعاً يا حبيبي وداعاً..

اما اذا عدنا والتقينا

فلا تبخل عليّ بسلام... بابتسامة

وداعاً.. يا حبيبي وداعاً»

وصلا الى نابولي، فتوجها الى المطار للسؤال عن مواعيد اقلاع الطائرات المتجهة الى انكلترا، فأخبرهما المسؤول بوجود



طائرة ستقلع ليلا. سألته ديلا:

- ألا توجد طائرة أخرى؟

استفسر المسؤول، ثم أجاب:

- لا يوجد اليوم الا هذه الطائرة يا آنسة.

عادا الى الفندق الذي اختاره نيكولاس لاقامتها القصيرة في نابولي. قال لها:

- ساعود لتوديعك اذا شئت.

- لا... انني أكره الوداع، وأفضل ان نفترق منذ الآن. الوداع يا نيكولاس، وأشكرك على لحظات حلوة ستبقى حية في أعماقي أبد الدهر.

صافحه قائلا:

- وفقك الله يا ديلا، وكتب لك النجاح على كل صعيد.

ذهب وتركها وحدها، فأحست بالفراغ والضياع بشكل كاد يدفعها الى الصراخ، وبخاصة عندما تذكرت كيف تركها نيكولاس بسهولة وبدون اي احساس بالألم او العذاب أو المعاناة، وكأنهما غريبان يفترقان. حاولت تناسي نيكولاس وتصرفاته بالصعود الى غرفتها، وتمضية الوقت بالاستحمام وتغيير الملابس، وشرب القهوة التي طلبتها الى غرفتها.

فجأة رن جرس الهاتف، فاستبعدت ان يكون نيكولاس:

- آلو...

أجابها صوت أجش، عاشت عمرها تسمعه:

- أهذا أنت يا ديلا؟

خفق قلبها:

- أهلا مارش. كيف عرفت انني من نزلاء هذا الفندق؟

- ان الاستغراب واضح في صوتك. أكنت تتوقعين مكالمة من حبيبك الايطالي؟

- ما الذي ترمي اليه يا مارش؟ هذه هي المرة الأولى التي أسمعك فيها تتكلم بهذه الطريقة.

- تلقيت مكالمة من السفينة، وأخبرني القبطان انك ذهبت لزيارة نابولي مع الكونت المعروف نيكولاس فرانكويلا، ولم تعودا. فاضطرت السفينة الى الابحار بدونكما. هل عندك تفسير لما حدث يا ديلا؟ ثم لماذا لا تزالين في نابولي حتى الآن؟

- كيف استطعت معرفة الفندق الذي أقيم فيه يا مارش؟

- لقد اخبروني بالفندق الذي اعتاد الكونت المشهور النزول فيه، هل هو معك الآن؟ أتراه ينتظر تفسيرك أيضاً؟

غضبت ديلا:

- كف عن القاء الأوامر والأسئلة يا مارش.. اذا قلت ان الكونت ليس معي الآن في الغرفة، فهل ستصدقني؟ وهل ستصدقني اذا قلت ان الكونت المشهور بغزواته النسائية كان البارحة خلوقاً مهذباً، بعد ان عزلتنا هزة أرضية



عن العالم؟ أجبني يا مارش.. اجبني؟

- ما أؤمن به هو انك عزلت نفسك مع الكونت الايطالي الوسيم، ولا دخل للظروف بما حصل.

- كف عن التكلم عن نيكولاس بهذه الطريقة. انه انسان جدير بالاحترام، وقد شعرت وأنا بقربه انني انسانة.. انسانة حقيقية يا مارش. انك لا تريد زوجة يا عزيزي، ولا تعرف معنى الحب. كل ما يهمك هو ان تحيل النساء في حياتك الى لعب من شمع، تحركها كيفما شئت. لقد قضيت الليلة الماضية مع نيكولاس فرانكويلا، ولم يكن في تصرفاته ما يشين.

- ماذا تقصدين يا ديلا؟ ماذا تقصدين؟ هل تريدين مني ان أصدق بأن رجلا مثله يمكن ان يتصرف بأدب طوال ليلة كاملة؟ لقد خاب أملي فيك يا ديلا.. لقد خاب أملي فيك.

أقفل مارش سماعة الهاتف فجأة، فبقيت ديلا وحيدة دامعة العينين، تفكر بما سمعته من مارش. واكتشفت انها كانت بالنسبة اليه تحفة ثمينة فقدت الآن قيمتها. اما نيكولاس فرانكويلا، فقد أحبها لنفسها، مما جعلها تذرف دموع الندم والحيرة وهي تلملم حاجياتها استعداداً للرحيل.

نزلت الى قاعة الاستقبال في الفندق تجرجر أذيال الخيبة، ولا تعي شيئاً مما حولها. لكن رجلا يجلس في زاوية حجرة الاستقبال

على كرسي خشبي مريح، لفت نظرها بطول ساقيه ومنكبيه العريضين، وشعره الأسود. هل من الممكن ان يكون نيكولاس؟ لا.. لا.. لا يمكن. المفروض انه غادر نابولي منذ فترة.

أشعل الرجل لفافة تبغ، ونهض متجهاً نحوها. كان نيكولاس، نيكولاس بلحمه ودمه. لم تعد ساقاها قادرتين على حملها، فامتدت ذراع نيكولاس لمساعدتها. قادها نحو باب الفندق قائلا:

- سأدفع الحساب، ونرحل معاً الى توسكاني. هيا بنا يا عزيزتي.. هيا.

تبعته، مبهورة، غير مصدقة ما يحدث. كانا في السيارة التي ستنقلهما الى محطة القطار عندما سألته:

- اخبرني ما الذي حدث يا نيكولاس؟ أرجوك.. أكاد أجن.

- اما أنا فمجنون بحبك يا ديلا.. والحب ضرب رائع من الجنون. لقد اتصل خطيبك بالفندق الذي نزلت فيه، فلم أجب على المكالمة، وطلبت تحويلها اليك مباشرة. كان عليّ ان أراك مرة أخيرة قبل مغادرتك نابولي. وعندما اتصل خطيبك، صممت على ان آتي اليك لمعرفة تأثير المكالمة عليك. فاذا لمحت السعادة تضيء وجهك، أرحل وأدفن حبي في مدافن النسيان.



لكن شحوبك أوحى الي بما حدث، فتقدمت منك، لأخذ مكاني الطبيعي في قلبك وحياتك. ماذا قلت لمارش يا ديلا؟

ابتسمت ديلا قائلة:

- صارحته بالحقيقة يا حبيبي. أكدت له انك الرجل الذي عشت عمري انتظره.

همس نيكولاس في أذنها:

- أحبك يا حبيبتي... احبك.

- يذكرني كلامك بأحلى أغنية في مسرحية «حبيبي جيوفاني». أتحب هذه الأغنية؟

- نعم أحبها كثيراً، لأنني مؤلفها، ومؤلف المسرحية بكاملها.

- يا الهي.. اليوم يوم المفاجآت. هل انت حقاً مؤلف مسرحية «حبيبي جيوفاني» التي غنيتها دون ان أعرف مؤلفها؟

دفنت رأسها في صدره فرحة، مسرورة، وراحت تحلم بمستقبل يضمهما فيه بيت واحد، تملأ أرجاؤه موسيقى السعادة، وتغرد في أنحائه أصوات الحب.